الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالى والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مادة علوم القرآن

السنة الأولى تخصص أدب عربي ليسانس (ل م د)

السداسي الأول

إعداد: الدكتور إبراهيم لقان

أستاذ محاضر قسم (أ) بمعهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

السنة الجامعية: 2019/2018م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

بـــا سم الله الـــرحمـــا ن
الـــرحـيـم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي وسعت رحمته كل شيء، سبحانك ربنا وسعت كل شيء علما، فاغفر لنا ما فرّطنا، وما كان من قصور منّا، علمناه أو لم نعلمه، والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، صلاة وسلاما دائمين بدوام ملكه سبحانه، وبعد:

أقدم لطلبتنا الأعزاء هذه المحاضرات التي تتضمن علوم القرآن للسنة الأولى ليسانس تخصص لغة وأدب عربي للسداسي الأول.

وقد اعتمدت في بنائها على مفردات المادة كما هو وارد في عرض التكوين، الخاص بالسنة الأولى ليسانس ل م د، واستخرجت المادة العلمية من جملة من المصادر والمراجع المتخصصة أحيانا والعامة أحيانا أخرى، وهي مذكورة في متن البحث. وقد تعمّدت الإطالة في بعض مباحثها والإيجاز في البعض الآخر مكتفيا بإحالة الطلبة إلى مضانّها الأصلية.

هذا، وإن وفقت في هذا المسعى فهو من فضل الله عليَّ وعليكم، وإن كان غير ذلك فالرجاء من كل من قرؤوا هذه المطبوعة أن يهدوا إليَّ ما يرونه من قصور في هذه المحاضرات وينبهوني إلى ما فيها من نقص، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والله ولي التوفيق

إعداد: الدكتور إبراهيم لقان

المحاضرة الأولى

أولا– تعريفات

1– القرآن الكريم

2– الكتاب

3– المعجزة

4– النبي

ثانيا– أهمية القرآن وعلومه في الدراسات اللغوية والأدبية

1– تمهيد

2– أثره في اللغة العربية

3– أثره في الأدب العربي

أولا– تعريفات

1– تعريف القرآن الكريم

أ– لغة: أما القرآن فاختُلف فيهك

1– فقال جماعة: هو اسم علم غير مشتق، خاص بكلام الله، فهو غير مهموز، وبه قرأ ابن كثير، وهو مرويّ عن الشافعي"[1].

2– أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه أنه كان يهمز (قرأتُ) ولا يهمز (القران)، ويقول: القران اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ (من قرأت) ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل"[2]

3– وقال قوم منهم الأشعري أبو الحسن (ت324 هـ): هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسُمي به لِقِران السور والآيات والحروف فيه"[3].

4– وقال الفراء (ت207هـ): هو مشتق من القرائن، (جمع قرينة)،لأن الآيات منه يُصدّق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضا، وهي قرائن. وعلى القولين هو بلا همز أيضا، ونونه أصلية"[4].

والقول بعدم الهمز في هذه الآراء الثلاثة كاف للحكم ببعدها عن قواعد الاشتقاق.

وممن رأى أن لفظ القرآن مهموز الزجاج واللحياني وجماعة.

1– يقول الزجاج: "هو وصف على وزن، فُعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع. ومنه قرأ الماء في الحوض بمعنى جمعته"[5].

2– ويقول اللحياني: "هو مصدر (لقرأت) كالرجحان والغفران، سُمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر"[6].

والرأي الأخير هو أقوى الآراء وأرجحها، فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾.القيامة: 18..

---

[1] – السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن،ج2، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص 339.

[2] - المصدر نفسه، ص 339.

[3]– المصدر نفسه، ص 340.

[4] – المصدر نفسه، ص 340.

[5] – المصدر نفسه، 341.

[6] – المصدر نفسه، ص 340.

ب– اصطلاحا ورد تعريف القرآن عند الفقهاء والأصوليين وعلماء اللغة العربية والمتكلمين، فمنهم من أطال في التعريف وأطنب، ومنهم من اختصر فيه وأوجز، ومنهم من اقتصد وتوسط. ومن أشهر هذه التعريفات أن القرآن هو: "الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[1].

2 – تعريف الكتاب

الكتاب اسم من أسماء القرآن الكريم الكثيرة، وهو أشهر الأسماء بعد لفظ القرآن، قال تعالى: " ﴿ **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا**﴾. الكهف:01. وهناك أسماء أخرى للقرآن منها:

أ– الفرقان لأنه فارق بين الحق والباطل، قال الله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ الفرقان: 01

ب– التنزيل: وهو مصدر أريد به المنزل لنزوله من عند الله،قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾. فصلت: 41-42.

ج– الذكر: سمي القرآن بالذكر لاشتماله على المواعظ والزواجر، وقيل لاشتماله على أخبار الأنبياء والأمم الماضية، وقيل من الذكر بمعنى الشرف، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾. الزخرف: 44. أي شرف لك ولقومك لأنه نزل بلغتكم.قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"**﴾.الحجر: 9.

وهناك من بالغ فجعل للقرآن أسماء استوحاها من صفات أطلقت على القرآن فجعلها خمسا وخمسين اسما[2] ،كما فعل أبو المعالي عزيز بن عبد الملك (ت494هـ)* في كتابه (البرهان في مشكلات القرآن). وقد نقل عنه السيوطي ذلك في كتابه (الإتقان في علوم القرآن). وأغلب ما ذكر عنهما هو في الحقيقة أوصاف فمثلا عدّوا من الأسماء لفظ (كريم، مبارك...) من قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ**﴾. الواقعة:**77**. **وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ** ﴾. الأنبياء 50.

---

[1] الزرقاني (محمد عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن 1–2، تقديم وتحقيق: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ–2008، ص19.

[2]– السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن،ج1، ص50.

* تنظر ترجمته في (وفيات الأعيان) لابن خلكان.258/3 ط إحسان عباس.

3- تعريف المعجزة: هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله. أو هي أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدّعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه..."[1].

هي ظاهرة تكررت في حياة الأنبياء صلوات الله عليهم، لتكون دليلا على صدق دعواهم النبوة. وقد قص القرآن الكريم كثيرا من أنباء المعجزات التي جاءت مصدقة لرسل الله المتقدمين مثل: ناقة صالح وعصا موسى وركوبه البحر، وإحياء عيسى الموتى، وإبرائه الأكمه والأبرص[2]. ولابد في المعجزة أن تكون أمرا خارقا للعادة، مقرونا بالتحدي، سالما من المعارضة[3].

4- تعريف النبي: النبوة في اللغة: مشتقة من النبأ بمعنى الخبر. قال الله تعالى:﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الحجر: 49. وقال تعالى:﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.التحريم: 3.

جاء في لسان العرب: النبأ: الخبر... والنبيء المخبر عن الله عز وجل... لأنه أنبأ عنه، وهو فعيل بمعنى فاعل[4].

ثانيا- أهمية القرآن وعلومه في الدراسات اللغوية والأدبية

لعل البعض يتساءل عن الحاجة إلى دراسة القرآن الكريم في الأدب العربي، والعلوم اللغوية العربية والحياة عموما، وقد يحسب أن في ذلك خلطاً بين الآداب والإسلاميات. و الجواب: إن لهذا الكتاب العظيم أهمية بالغة من جوانب مختلفة متعددة.

فإن له جانباً تشريعيا هاماً، لا ينفك عن الحاجة إلى دراسته كل متطلع إلى دراسة الفقه والتشريع. وإن له مع ذلك جانبا متعلقا بالعقيدة والفلسفة والأخلاقيات، لا ينفك عن الحاجة إلى دراسة كل مقبل إلى دراسة العقائد أو الفلسفة أو الأخلاق.

لذلك كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، ومن سلف الأمة وخلفها جميعا إلى يوم الناس هذا " وقد اتخذت هذه العناية أشكالا مختلفة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابه ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشروحه...إلى غير ذلك. ولقد

---

[1]-الزرقاني (محمد عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، ص53.

[2] - محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، ط3، 1410هـ-1990، ص78.

[3] - المرجع نفسه، ص78-79.

[4] - عبد الرؤوف محمد عثمان: محبة الرسول بين الإتباع والابتداع، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، إدارة الطبع والترجمة الرياض، ط1، 1414هـ، ص 13-14.

أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف، ووضعوا من أجلها العلوم، ودونوا الكتب، حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث من مجيد من آثار سلفنا الصالح، وعلمائنا الأعلام"[1].

كما أن له مع ذلك جانبا أدبيا أصيلا بعيد الجذور في تاريخ الأدب العربي، عظيم الأثر في توجيهه وتطويره وتقويمه، فمن أجل ذلك كان لابد لمن أراد دراسة العربية وآدابها من أن يبدأ بدراسة القرآن وعلومه، وكلما ابتغى مزيدًا من التوسع في العلوم العربية وثقافتها، احتاج إلى مزيد من التوسع في دراساته القرآنية المختلفة، ونقتصر هنا على ذكر آثار هذا الكتاب على اللغة والأدب العربيين:

1– أثره في اللغة العربية: ترك القرآن الكريم آثارا بليغة على اللغة العربية يمكن إجمالها فيما يلي:

أ– إن هذا الكتاب العربي المبين، هو أول كتاب ظهر في تاريخ اللغة العربية "ولم يتح لأمة من الأمم كتاب مثله لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب"[2] و إنما نشأت حركات التدوين والتأليف بعد ذلك، على ضوئه وسارت و بوحيه وأسلوبه تأثرت. ومن أجل ذلك، كان مظهرًا هاما للحياة العقلية والفكرية والأدبية التي عاشها العرب فيما بعد. فكيف يتأتى أن يكون هذا الكتاب مع ذلك بمعزل عن العربية وعلومها وآدابها؟.

ب– لقد أثّر هذا الكتاب أثرا عظيما في اللغة العربية، وأول ما كان من آثاره "أنه جمع العرب على لهجة قريش...أما القبائل فكانت تلوك لهجات تختلف عن اللهجة القرشية، فعمل القرآن على تقريب من بين هذه اللهجات من فروق"[3]. فصار للعرب لغة واحدة اعتمدوها وسيلة وحيدة في كلامهم وكتاباتهم و هذا ما أسهم إسهاما كبيرا في تقوية أواصر الوحدة و التآلف بينهم. يقول مصطفة صادق الرافعي في هذا الشأن: " ومن المعلوم بالضرورة أن القرآن قد جمع أولئك العرب على لغة واحدة، بما استجمع فيها من محاسن هذه الفطرة اللغوية التي جعلت أهل كل لسان يأخذون بها ولا يجدون لهم عنها مرغبا، إذ يرونها كمالا لما في أنفسهم من أصول تلك الفطرة البيانية، مما وقفوا على حد الرغبة فيه من مذاهبها دون أن يقفوا على سبيل القدرة عليه..."[4].

ج–لقد مرت على الأمة العربية خلال عصور تاريخها الحافل أيام قاسية ونكبات سود، وكانت هدفا لموجات همجية أهلكت الحرث والنسل ودمّرت كل مظهر من مظاهر الحضارة، وآل الحكم فيها خلال حقب طويلة إلى عناصر أعجمية لا تعرف العربية، وعمّ أبناء الأمة الجهل، وتعرضت اللغة العربي للضعف والهوان، ولو أن هذا حدث في أمة أخرى لانقرضت لغتها وزال وجودها، "ولكن هذا القرآن

---

[1] – الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، ص13

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط6، د ت، ص30.

[3] – المرجع نفسه، ص31.

[4] – مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ– 2000، ص 63.

الكريم بقي الحارس الأمين الذي حفظ على هذه الأمة كيانها، ومقومات وجودها وذاتيتها، وحمى لغتها من الضياع، ولولاه لانقرضت العربية وذابت خلال هاتيك الكوارث التي غشيت هذه البلاد وسكانها أوقاتا طويلة"[1].

وهذا ما ضمن لها البقاء والحفظ بسبب ذلك وحده. فقد كانت اللغة العربية من قبل عصر القرآن خليطا من اللهجات المختلفة المتباعدة، فقد اتضح من ذلك أنه "لولا القرآن وأسراره ما اجتمع العرب على لغته، ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقد ولم يكن منه بد، حتى تنتقض الفطرة وتختل الطباع، ثم يكون مصير هذه اللغات إلى العفاء لا محالة..."[2].

د- لقد أضفى القرآن الكريم على اللغة العربية القدسية و المهابة، إذ جعلها لغة ذات دين سماوي باهر، و رغب جميع المسلمين في جميع بقاع الدنيا بتعلمها و إتقانها، فتلقفتها الأمم و الشعوب خارج الأقطار العربية، و لم تلبث أن انتشرت انتشارا واسعا في مواطن قصية، فاستخدمها الكتاب في تأليف مصنفاتهم الفكرية و الفلسفية و الدينية، و لاذ بها الشعراء للتعبير عن عواطفهم و مشاعرهم فكانت لهم جميعا خير معين.

هـ-كما زاد القرآن الكريم من طاقة اللغة العربية التعبيرية و الدلالية بما أحله فيها من مفردات لم تكن تعرفها من قبله، مثل: الفرقان والكفر والإيمان والإشراك والإسلام والنفاق والصوم والصلاة والزكاة والتيمم والركوع والسجود وغير ذلك من كلمات الدين الحنيف[3]، النار، الكفر، الإيمان، الصلاة، الزكاة وبما استحدثه من معان طوّعت لها ألفاظ لم تكن تستعمل فيما مضى.

و-كما وسع القرآن الكريم من ميادين اللغة العربية بما أنشأه فيها من علوم مختلفة كعلوم التفسير و الفقه و الكلام و الحديث و الرواية و النحو و الصرف و النقد الأدبي و البلاغة، فهذه العلوم لم يكن ليتيسر لها هذا المدى من السعة و العمق إلاّ لأن القرآن الكريم حثّ على العلم و التعلم، و أعلى من شأن المعرفة و جذب إلى ينابيعه الفياضة خيرة الأقلام و أجودها، فراحت تبحر في محيطه وتغوص في أعماقه ما شاء لها الإبحار و الغوص وتخرج و قد حُمّلت بلآلئ المعرفة و درر الثقافة، لتبني بها نهضة فكرية و علمية و أدبية واسعة شكلت رافدا أساسيا قويا للحضارة الإنسانية

ز- و يظهر تأثر العرب بأسلوب القرآن الكريم جليا إذ انطبعت في لغتهم العذوبة والفصاحة والجزالة، فإنه خالط قلوبا قاسية فألانها، وطباعا قاسية فهذبها، وأضفى على اللغة العربية عذوبة لفظ ورقة أسلوب، وسماحة ترتيب، وقوة حجة ورزانة منطق، ودقة أداء وغزارة معنى، وكان من فضل القرآن الكريم

---

[1] - محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص28.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج2، ص64.

[3] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص32.

على اللغة تهذيبها من الحوشية ومن اللفظ الغريب[1] والسير بها إلى السهولة والمتانة، ووضوح القصد وبلوغ الغرض، من أوضح الطرق وأجود الأساليب.

2- أثر القرآن الكريم في الأدب العربي

و إذا غصنا بحثا عن أثر القرآن الكريم في الأدب العربي فتتجلى لنا مجموعة من الآثار نذكر منها:

أ- أنه وفر للأدباء و الكتاب ثروة لفظية قيمة أتاحت لهم أن يختاروا من اللفظ الأكثر توافقا مع المعنى، و الأقدر على الإيحاء به أو الدلالة عليه.

ب- كما أطلعهم على فنون متنوعة من القول و أساليب راقية في تخريج الكلام تخريجا بلاغيا رفيعا، فاكتسبوا مقدرة فائقة على التصرف بالمعاني و إرسالها في طرائق و أساليب مختلفة، مقتصدين في اللفظ متى استدعى المعنى الإيجاز و مسهبين في مواطن الإسهاب.

ج- لقد أمدّ القرآن الكريم الأدب والأدباء بمعان جديدة لم يعرفوها من قبل كالدعوة إلى الإيمان بالله و بوحدانيته، و إقامة الدليل على ذلك، و خلق السموات و الأرض و تأريخ الأمم، و سير الأنبياء و الرسل و"من تقرير البعث و النشور و بسط صور الثواب و العقاب مستعينا في ذلك بالوجدانات الغريزية و بالعقول و تمييزها و ما ينبغي أن يتهيأ لها من صواب الرأي"[2] ، إلى غير ذلك من المعاني و الأفكار التي فتحت لهم أفاقا معنوية جديدة ارتادتها أقلامهم، و جابتها قرائحهم، فرحبت ميادينهم، و ازدهى نتاجهم الأدبي و الفكري والثقافي بنتاج عظيم. لقد أدّى ذلك كله إلى تنمية قدراتهم العقلية المؤهلة للنظر المتعمق و الاستيعاب الكامل والتعبير الجلي، فنجحوا في وضع الكثير من المصنفات الأدبية و اللغوية، تناولوا فيها فنون اللغة العربية بالحث والدراسة، متبعين فيها منهاجا علميا رائعا في العرض و التبويب و التقعيد.

د-كما أدّى أيضا إلى تنمية مواهبهم الأدبية و الفنية فمالوا إلى العفوية و البساطة و الصدق في الترجمة عن أحاسيسهم و أفكارهم مما أفسح المجال رحبا أمامهم للابتكار و التجديد، ففاض التراث الأدبي العربي بقصائد رائعة تتناول جوانب من هموم الإنسان العربي و تعكس همومه و مآسيه، وتصوّر أشكالا من واقعه أجمل تصوير.

هـ- كما تجلّى هذا التأثر أيضا في التمهيد لظهور أنواع أدبية نثرية، فنشأ فن القصة في الأدب العربي بما عرضه القرآن الكريم من القصص ذات المضمون الإنساني، والبعد الأخلاقي مثال ذلك قصة يوسف التي تحوي في طيّاتها معاني إنسانية رفيعة، ففيها حثّ على وجوب التحلّي بالشرف و الأمانة و الصدق و مقاومة نداء الغريزة و الاستعاذة بالتعاليم الإلهية من غواية الشيطان و الاعتصام بالعفة و الإرادة و الصبر.

---

[1] - المرجع نفسه، ص33.

[2] المرجع السابق، ص32.

المحاضرة الثانية

تاريخ القرآن الكريم

أولا– نزول القرآن الكريم

ثانيا– ظاهرة الوحي

ثالثا– التنجيم

أنزل الله القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشرية، فكان نزوله حدثا عظيما يؤذن بمكانته لدى أهل السماء والأرض. أنزله الله تعالى ليشعر العالم العلوي بشرف الأمة المحمدية التي أكرمها الله بهذه الرسالة لتكون خير أمة أخرجت للناس. وقد كثرت الآيات التي بُيِّنَ فيها نزول القرآن على سيدنا محمد كما سنلاحظه في الآيات التالية.

أولا- معنى نزول القرآن الكريم

1-تعريف النزول

جاء التعبير بمادة نزول القرآن وما تصرف منها في الكتاب والسنة، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿" وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾. الإسراء:105 ۞. وقوله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ" [1].

والمراد بالنزول في اللغة: الحلول في مكان ما، والفعل المتعدي يكون منه الإنزال، ومعناه إحلال الغير في مكان وإيواءه به. ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَقُل** رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾۞. المؤمنون:*128*.

ومن معاني النزول في اللغة: انحدار الشيء من علو إلى أسفل نحو:نزل فلان من الجبل. والمتعدي يكون معناه تحريك الشيء من أعلى إلى أسفل[2] ومنه قوله تعالى: ﴿ **نْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ**﴾. الرعد13.

و كلا المعنيين هنا يطلق على شيء مادي، ولا يليق إطلاقهما على القرآن الذي هو معنوي إلا من باب المجاز،كما هو في قوله تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾. الإسراء: 105.

2- نزول القرآن الكريم

لقد شرف الله هذا القرآن بأن جعل له ثلاث تنزلات (نزولات)[3].

أ- التنزل الأول إلى اللوح المحفوظ. ودليله قوله تعالى: "﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾. البروج: 21-22. "وكان هذا الوجود في اللوح بطريقة وفي وقت لا يعلمهما إلا الله تعالى، ومن أطلعه على غيبه. وكان جملة لا مفرقا "[4]. واللوح المحفوظ هو السجل العام الذي كتب الله فيه في الأزل كل ما كان وكل ما يكون، وعلينا الإيمان به دون البحث فيما وراء ذلك (ماهيته وحقيقته وعلى أية حالة يكون

---

[1] – الحديث متفق عليه: نقلا عن: الزرقاني(عبد العظيم): مناهل العرفان، ص34.

[2] – المصدر نفسه، ص34.

[3] – المصدر نفسه، ص36.

[4] –المصدر نفسه، ص ن.

وكيف دونت فيه الكائنات...) فلم يرد عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك حديث صحيح. و حكمة وجود القرآن في اللوح المحفوظ ترجع إلى الحكمة من وجود هذا اللوح المحفوظ و التي لا يعلمها إلا الله.

ب– التنزل الثاني للقرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة، في ليلة القدر من رمضان ودليله قوله تعالى: ﴿"إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ **فِي لَيْلَةِ** الْقَدْرِ﴾. القدر:01. وقوله أيضا: ﴿ إِنَّا أَنزلْنَاهُ **فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ** ﴾. الدخان: 01. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِعِشْرِينَ سَنَةً:**."[1]

والإنزال في لسان العرب يطلق على ما نزل جملة واحدة، بخلاف التنزيل فإنه يعبر عما نزل مفرقا. فدلت الآيات على أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر، (كما دلت الآيات السابقة في سور: القدر، الدخان، البقرة) من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وكان النازل به جبريل عليه السلام، فألقاه على السفرة الكرام البررة فقيدوه في صحفهم المكرمة كما قال الله تعالى: ﴿"كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ***(11)*** فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ***(12)*** **فِي** صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ***(13)***مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ***(14)***بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ***15)***كِرَامٍ بَرَرَةٍ ***(16)*** ﴾. عبس: 11–12. (والكرام البررة هم الملائكة المختصون بذلك).

وبقي القرآن الكريم محفوظا في هذه الصحف المرفوعة المطهرة، حتى أذن الله تعالى له أن يسطع على أرجاء الكون على يدي محمد (ص).

ج– نزوله إلى الأرض: وشواهد هذا النزول كثيرة من ذلك قوله تعالى: ﴿" وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ **مِنَ** الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينن﴾. الشعراء: 192. وقال أيضا:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ **عَلَىٰ** عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ **نَذِيرًا**﴾. الفرقان:01."

والذي نزل به على النبي (ص) هو أمين الوحي جبريل عليه السلام. وهو المقصود بالروح الأمين في سورة الشعراء " ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (*192*) **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ** (**193**) **عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ"**﴾ الشعراء: 192 . وبروح القدس في سورة النحل ﴿**قُلْ** نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ **مِنْ** رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ **الَّذِينَ** آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ **لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾. النحل 102.

وقد جاء النص على أن النازل بالقرآن هو جبريل في قوله تعالى: "**قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه،وهدى وبشرى للمؤمنين، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين**﴾ البقرة97-98.

كيف كان هذا النزول و ما هي مدته؟ "كيفية أخذ جبريل للقرآن وعمن أخذه من أنباء الغيب"[2]

---

[1] – رواه البخاري. نقلا عن: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص96.

[2] – – الزر قاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص38.

نزل به جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم (منجما)مفرقا على حسب الوقائع، والحوادث وحاجات الناس ، ومراعاة للظروف والملابسات.

ثانيا– ظاهرة الوحي وبداياته

1– تعريف الوحي

أ– لغة: للوحي بمعناه اللغوي معان متعددة، "يقال وحيت إليه وأوحيت: إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، والوحي الإشارة السريعة، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد، وبإشارة ببعض الجوارح. والوحي مصدر..."[1] وقد ورد استعمال كلمة الوحي في القرآن الكريم بمعان كثيرة منها:

1– الإلهام الفطري للإنسان: وذلك كالوحي إلى أم موسى عليها السلام،قال الله تعالى:" ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ** ۖ"﴾ **القصص: 07.**

2– الإلهام الغريزي للحيوان: كالوحي إلى النحل المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَىٰ** رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ **أَنِ** اتَّخِذِي **مِنَ** الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾المحل: 68.

3– الإشارة السريعة: كما حكى الله تعالى عن زكريا عليه السلام في مخاطبته لقومه.قال: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾.مريم:11.

4– وسوسة الشيطان وتزيينه الشر للنفس الإنسانية، قال تعالى:﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ** ۖ **وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ الأنعام: 121.

هـ– وحي الله إلى أنبيائه ورسله من البشر:قال تعالى:" ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾.الكهف: 110.

ب– اصطلاحا: الوحي بالمعنى الاصطلاحي "هو إعلام الله تعالى من يصطفيه من عباده ما أراد من هداية بطريقة سريعة خفية"[2].ويكون الوحي على أنواع شتى [3]:

1– منه ما يكون إلهاما يقذفه الله في قلب من اصطفاه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعا ولا يجد فيه شكا.

2– الرؤيا الصالحة في النوم. فعن عائشة رضي الله عنها قالت:"أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" متفق عليه.

---

[1] – مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص26.

[2] – المرجع نفسه، ص27.

[3]– عبد المجيد محمد مطلوب، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1429هـ– 2008، ص21.

3- الكلام الإلهي من وراء حجاب يقظة لا في المنام وهو ثابت لسيدنا موسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾.النساء: 164. كما ثبت تكليم الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج بدون واسطة على الأصح من أقوال أهل العلم.

4- الوحي إلى الرسل بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، ولا يخلو هذا النوع من إحدى حالتين:

الأولى: أن يأتي الملَك إلى الرسول (ص) مثل صلصلة الجرس والصوت القوي فيثير فيه عوامل الانتباه فتتهيأ النفس بكل قواها لتلقي أثره.

الثانية: أن يتمثل الملَك في بصورة رجل ويكلم النبي (ص) وهذه الحالة أخف على النبي من سابقتها. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله (ص): " **أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ** "[1].

2- بدايات الوحي

جاء في الصحيحين عن بدايات الوحي، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ[2]: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾. **العلق:1-5**.

ثالثا- التنجيم

1- تعريف التنجيم

---

[1]-البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى الرسول (ص)، الحديث رقم02، دار ابن كثير بيروت- دمشق، ط1 (طبعة جديدة مضبوطة ومصححة ومفهرسة)، 1423هـ-2002.ص07.

[2]- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى الرسول (ص)، الحديث رقم:3. ص7-8.

التنجيم في اللغة التفريق، يقال: وتنجيم القرآن أي نزوله مفرقا على دفعات[1]"﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ **لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا** ﴾.**الإسراء:106**.

وقد اختلف العلماء في مدة النزول، فقيل:عشرون سنة (20).و قيل ثلاث وعشرون سنة (23).وقيل خمس وعشرون سنة (25). ومنشأ هذا الخلاف ناشئ عن اختلافهم في مدة مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة. فمنهم من قال:عشر سنين (10)، ومنهم من قال: ثلاث عشرة سنة (13)، ومنهم من قال:خمس عشرة سنة (15).

وأقرب هذه الأقوال إلى الحق هو أوسطها، أي ثلاث عشرة سنة (13). فيكون مجمل زمن نزول القرآن الكريم ثلاثا و عشرين سنة (23). وبالتدقيق: أثنين وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصف الشهر، 22 سنة +5أشهر+نصف شهر.

2- نزوله مفرقا (منجما) والدليل على ذلك:

نزل القرآن الكريم مفرقا بدليل القرآن والسنة النبوية الصريحة:

أ- في القرآن: قال الله تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ **لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا**﴾.الإسراء:106.

ومن أسباب تفريق القرآن في النزول ما ذكره الله تعالى ردا على الكفار ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا** لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ **الْقُرْآنُ جُمْلَةً** وَاحِدَةً ۚ﴾.الفرقان:32.**أي** كما نزلت الكتب على من قبله من الرسل. فأجابهم الله تعالى بقوله لرسوله: ﴿**كَذَٰلِكَ** لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾. الفرقان:33.

ومعنى الآية أن اليهود والمشركين عابوا على النبي نزول القرآن مفرقا، وقالوا لِم لم ينزل جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية حاكية لأقوالهم ورادة عليهم ببيان الحكمة من إنزاله مفرقا وهي تثبيت قلب الرسول، وليرتله لنفسه، وعلى أصحابه.

ب- في السنة: ثبت في السنة الصحيحة ما يدل على نزول القرآن منجما مفرقا، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها "أن أول ما نزل صدر سورة اقرأ إلى قوله تعالى ما لم يعلم".

3- الحِكمة من نزول القرآن مفرقا (منجما)

نزل القرآن الكرم مفرقا خلال فترة النبوة، ولا شك أن لذلك حِكما بالغة لها شأنها في ترسيخ معاني القرآن في قلوب الناس وتأثرهم بها وتغيير مجرى حياتهم وأخلاقهم على ضوء ذلك النور المشرق الجديد[2].

---

[1]- ينظر: محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص56.

[2] - موسى إبراهيم الإبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، دار عمّار، عمان، الأردن، 1996، ص24.

أ– تثبيت قلب الرسول وتسليته بسبب تكرر نزول الوحي وتثبيت قلب النبي فسره أبو شامة بقوله: "إن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ، ولهذا كان أكثر ما يكون في رمضان، لكثرة لقائه جبريل"[1].

وتوالي آياته بما اشتملت عليه من أن رسالته حق وأن العاقبة للمتقين، وأن الله مؤيده وناصره،كما نصر غيره من الأنبياء،لأن الرسول كان كثيرا ما يحزن ويتحسر لعدم إيمان قومه، كما قال الله تعالى:"﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.الكهف:06. (أي قاتل نفسك غما وأسفا على عدم إيمانهم).

وتارة يسليه: ﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.فاطر:8.

ب– تيسير حفظه وفهمه على النبي الذي كان حريصا على ذلك غاية الحرص، فقد بلغ من حرصه أنه كان لا ينتظر حتى يفرغ جبريل من قراءته، فيتعجل القراءة، فأنزل الله عليه: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ **مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ** إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلما﴾.طه:114.

وقوله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ **إِنَّ** عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.القيامة:17-19.

فإن نزول القرآن مفرقا أدعى إلى سهولة حفظه وفهمه، وأيسر وأوفق بالفطرة البشرية ،وهو ما وصل إليه علماء التربية في طرق التدريس.

ج– التدرج في تربية الأمة دينيا وخلقيا واجتماعيا وعلما وعملا : وهذه الحكمة هي التي أشار إليها الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾.الإسراء:106. ويندرج تحت هذه الحكمة ما يلي:

1- التدرج في انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة ،والمنكرات من عبادة الأصنام، وشرك بالله، وسفك الدماء، وشرب لخمر والزنا والاغتصاب ووأد البنات وحرابة (قطع الطرق) وسرقة وظلم للمرأة، وزواج محرم (كالجمع بين الأختين) إلخ... ومعلوم أن النفس يشق عليها ترك ما تعودته:

والنفس كالطفل شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم .

2- التدرج في تثبيت العقائد الصحيحة والأحكام التعبدية و الآداب والأخلاق الفاضلة، فأمر الله عباده :

[1] – السيوطي (جلال الدين): تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ص 4.

أولا: بالإيمان بالله وصفاته وعبادته وحده، حتى إذا آمنوا، دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر، ثم بالرسل والملائكة، حتى إذا اطمأنت قلوبهم بالإيمان، تقبلوا الأوامر والتشريعات التفصيلية، و الفضائل والآداب، فأمرهم بالصلاة والصدق و العفاف، ثم أمرهم بالزكاة والصوم، ثم بالحج، ثم بيّن لهم أحكام الزواج والطلاق وسائر المعاملات من بيع وشراء وتجارة وزراعة ودين ورهن ... وكان مدار السور المكية على العقيدة، والمدنية على التشريع.

د- مجاراة الحوادث والنوازل والأحوال والملابسات في تفرقها وتجددها، وهي الحكمة التي أشارت إليها الآية: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.الفرقان:33. ويندرج تحت هذه الحكمة:

1- بيان حكم الله في القضايا والوقائع التي تحدث بين المسلمين، فكلما وقعت واقعة لم يكن حكمها معروفا عند المسلمين، نزلت آية أو آيات مبينة حكم الله فيها، مثال ذلك: حادثة الإفك.

2- إجابة السائلين على أسئلتهم التي كانوا يوجهونها إلى النبي سواء أكانت أسئلة للتثبت أم للاسترشاد مثل: " ﴿وَيَسْأَلُونَكَ **عَنِ الرُّوحِ** ۖ قُلِ **الرُّوحُ مِنْ** أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم **مِّنَ** الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.الإسراء:85. وقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً﴾.الكهف:83

وهذه أسئلة لم تكن في وقت واحد، بل كانت في أوقات مختلفة.

3- تنبيه المسلمين إلى أخطائهم، وتحذيرهم من معاودتها مثل ما حدث في غزوة حنين فقد اغتر المسلمون بكثرتهم، حتى قال قائل منهم: في هذا اليوم لن نهزم من قلة. ولم يعتمدوا على الله حق الاعتماد فكان أن منوا بالهزيمة، لولا تدارك الله لهم برحمته وثبات النبي، وإنزال الملائكة مقوية لقلوبهم : ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26)** ﴾.التوبة:25-26.

4- تحذير المسلمين من المنافقين والكشف عن خبيئة أنفسهم، فقد كانوا يتظاهرون بالإسلام ويختلطون بالمسلمين آخذين أخبارهم مطّلعين على أسرارهم، ناقليها إلى الأعداء، فكان ضررهم أشد من ضرر الأعداء المكاشفين ،فكشف الله أستارهم وشنع بهم في أكثر من آية،وكان لهم بالمرصاد: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ **وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾.المائدة:64.

هـ- بيان إعجاز القرآن على أبلغ وجه وإقامة الحجة على الناس، فلو نزل مرّة واحدة لقال المشركون: شيء جاءنا مرة واحدة فلا نستطيع معارضته ولو أنه جاء قطعا قطعا لعارضناه، فأنزل الله

تعالى القرآن مفرقا ليقطع عنهم دابر المعذرة والتعلل. ويشير إلى هذه الحكمة ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في نزول القرآن:"فكان المشركون إذا أحدثوا شيئا، أحدث الله لهم جوابا"[1].

[1] – مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص105.

المحاضرة الثالثة

تاريخ القرآن (تابع)

2 – مراحل جمع القرآن

أولا– جمع القرآن الكريم

أ– في عهده صلى الله عليه وسلم

ب– في عهد أبي بكر رضي الله عنه

ج– في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

ثانيا– معايير ترتيب سور وآيات القرآن الكريم (وقفية أم اجتهادية)

أولا– جمع القرآن الكريم

كلمة جمع تطلق تارة ويراد بها حفظ القرآن واستظهاره في الصدور، ويراد بها مرة أخرى كتابته كله، حروفا وكلمات وآيات وسورا. هذا جمع في الصحائف والسطور، وذاك جمع في القلوب والصدور.[1]

إن جمع القرآن بمعنى كتابته حدث في صدر الإسلام ثلاث مرات: الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والثانية في خلافة أبي بكر، والثالثة في عهد عثمان رضي الله عنه. وفي هذه الأخيرة وحّدت المصاحف في نسخة واحدة وأرسلت إلى الآفاق.

أ- **جمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:** لقد مرّ جمع القرآن في عهده صلى الله عليه وسلم بمرحلتين:

1– جمعه بمعنى حفظه في الصدور

عندما نزل القرآن على النبي كان همه أن يحفظه، ويستظهره على قومه لإثبات نبوته، مصداقا لقوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾. الجمعة:2"

ومن شأن الأميّ أن يعول على حافظته فيما يهمه من أمر، وقد تيسر للعرب آنذاك سرعة الحفظ وسيلان الأذهان، حتى كانت قلوبهم أناجيلَهم، وعقولهم سجلات أنسابهم و أيامهم، وحوافظُهم دواوينَ أشعارهم ومفاخرهم، ثم جاءهم القرآن فبهرهم بقوة بيانه، فاهتموا به أيما اهتمام[2].

أما النبي فبلغ من حرصه على حفظ القرآن واستظهاره أنه كان يحرّك به لسانه في أشد حالات حرجه وشدّته، يفعل ذلك استعجالا لحفظه وجمعه في قلبه، مخافة أن يفوته شيء منه. ومن أشهر الحفاظ (الخلفاء الأربعة، وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وأبو هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة* وعائشة وحفصة وأم سلمة، ومن الأنصار :عبادة بن الصامت ومعاذ ومسلمة بن مخلد)[3]

وما زال كذلك حتى طمأنه ربه ووعده بأن يجمعه له في صدره، ويسهّل له قراءته، وفهم معناه:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16)إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.القيامة: 16-19.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. طه: 114.

---

[1] – الزر قاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص146.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص146.

* – العبادلة الأربعة المشهورون بالإفتاء هم: عبد الله بن عباس،عبد الله بن عمرو بن العاص،عبد الله بن عمر، عبد الله بن الزوبير.

[3] – ينظر: صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ص 66-67.

ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم جامعَ القرآن في قلبه، ومرجع المسلمين في كل ما يعنيهم من أمر القرآن.

أما الصحابة رضي الله عنهم، فكان كتاب الله المحلَ الأول من عنايتهم، يتنافسون في حفظه واستظهاره، ويتسابقون إلى مدارسته وفهمه، ويتفاضلون فيما بينهم بمقدار ما يحفظون،"وربما كانت قرّة عين السيدة منهم أن يكون مهرَها في زواجها سورة من القرآن يعلمها إياها زوجها"[1].

وكانوا يهجرون لذة النوم إيثارا للذة القيام به، والصلاة به والناس نيام، وكان الرسول (ص) يذكي فيهم روح هذه العناية، ويبعث إلى كل من كان بعيدا من يعلمهم القرآن.

فقد بعث مصعب بن عُمير وابن أم مكتوم إلى المدينة قبل أن يهاجر إليها يعلمانهم الإسلام ،كما أرسل معاذ بن جبل إلى مكة بعد هجرته للتحفيظ والإقراء.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: "كان الرجل إذا هاجر، دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منّا يعلمه القرآن، وكان يُسمع لمسجد رسول الله ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفِّضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا"[2].

ومن هنا كان الحفّاظ –في حياته صلى الله عليه وسلم– كثيرين منهم: الخلفاء الأربعة وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وأبو هريرة وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وعائشة وحفصة و أم سلمة، وهؤلاء كلهم من المهاجرين.

وحفظ القرآن – في حياته صلى الله عليه وسلم من الأنصار– أبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدر داء، وأنس بن مالك، وقد كان حفاظ القرآن كثيرين، سواء في حياته (ص) أو بعد وفاته، حتى كان عدد القتلى منهم ببئر معونة*، ويوم اليمامة* أربعين ومائة.

قال القرطبي: "قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء. وقتل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا العدد"[3].

2– جمعه بمعنى كتابته في الصحف

---

[1] – الزر قاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص147.

[2] – رواه الحاكم، المستدرك، رقم (5527) والحديث صحيح، نقلا عن: الزرقاني، مناهل العرفان، ص147.

* – بئر معونة: وقعت شهر صفر سنة 03هـ بحيث جاء أناس وطلبوا من الرسول أن يرسل معهم رجالا إلى القبائل يعلمونهم القرآن،ففعل ولما وصل الحفظة قتلوهم (سبعون مقرئا).

* – موقعة اليمامة وقعت بعد وفاته (ص)سنة12هـ وهي حرب بين المسلمين والمرتدين، أتباع مسيلمة الكذاب.

[3] – القرطبي: الجامع، 214/4. نقلا عن: الزرقاني: مناهل العرفان، ص147.

لم تكن أدوات الكتابة ميسورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت همته و همم الصحابة منصبّة على الحفظ في الصدور، بدل الحفظ في السطور، جريا على عادة العرب آنذاك (الاهتمام بالحفظ).

ولكن القرآن حظي بأوفى نصيب من العناية من النبي وصحابته، فلم يصرفهم جمعه في صدورهم عن كتابته، ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة وأدواتها في عصرهم.

فقد اتخذ صلى الله عليه وسلم كتّابا للوحي كلما نزل شيء منه، أمرهم بكتابته زيادة في التوثق، وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة، منهم: أبو بكر وعمر وعلي ومعاوية وأبان بن سعيد وخالد بن الوليد وزيد بن ثابت وثابت بن قيس وغيرهم.

وكان (ص) يدلّهم على موضع المكتوب من سورته، فيكتبونه فيما يسهل عليهم من العُسُب واللِخاف،والرقاع وقطع الأديم * وعظام الأكتاف والأضلاع، ثم يوضَع المكتوب في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهكذا انقضى العهد النبوي والقرآن مجموع على هذا النمط، غير أنه لم يكتب في صحف ولا مصاحف.

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب، فقال: "ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يُذكر فيه كذا وكذا" رواه أصحاب السنن الثلاثة [1].

وعن زيد بن ثابت قال : "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع". رواه الترمذي وأحمد

لماذا لم يجمع القرآن في صحف ولا في مصاحف في عهده صلى الله عليه وسلم؟[2]

1- لم يوجد من دواعي كتابته في صحف أو مصاحف مثل ما وجد بعد ذلك، فالمسلمون كانوا بخير، والقراء كثيرون، والدولة الإسلامية محدودة، والفتنة مأمونة، وأدوات الكتابة غير ميسورة.

2- إن الوحي كان في بداية نزوله ينسخ ما شاء الله من آية أو آيات.

3- أن القرآن لم ينزل مرة واحدة بل نزل منجما على عشرين سنة أو أكثر.

4- أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله، فقد رأينا أن نزوله كان على حسب الأسباب أما ترتيبه فكان لغير ذلك من الاعتبارات.

ب- جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

---

*- العسب :بضم العين والسين: ج: عسيب وهو جريد النخل.- اللخاف: ج لخفة الحجارة الرقيقة.الرقاع: ج: رقعة من جلد وورق. الأديم: الجلد

[1]- عبد المجيد محمود مطلوب: مباحث في علوم القرآن، والحديث ص89.

[2] - ينظر: الزر قاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص151.

لما تولى أبو بكر الخلافة واجه أحداث شداد ومشاكل صعاب، فكان أول عمل قام به محاربة المرتدين والقضاء على هذه الفتنة، وتثبيت دعائم الإسلام بعدما كادت تتقوض. ففي سنة 12هـ وقعت موقعة اليمامة حيث دارت حرب شديدة بين المسلمين والمرتدين أتباع مسيلمة الكذاب، "استشهد فيها كثير من قراء الصحابة وحفظتهم للقرآن، ينتهي عددهم إلى السبعين، وأنهاه بعضهم إلى خمسمائة من أجلّهم سالم مولى أبي حذيفة. ولقد هال ذلك المسلمين، وعزّ الأمر على عمر، فدخل على أبي بكر وأخبره الخبر واقترح عليه أن يجمع القرآن، خشية الضياع بموت الحفاظ وقتل القراء. فتردد أبو بكر أول الأمر خوفا من أن يجرّه التجديد إلى التبديل (الإنشاء والزيادة من طرف الكتاب)[1].

ولكنه بعد مفاوضات مع عمر اقتنع بصواب الفكرة، وانتدب لتحقيقها رجلا من خيرة الصحابة، هو زيد بن ثابت، لأنه جمع له من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن ما لم يجتمع لغيره ، فكان من حفاظ القرآن ومن كتاب الوحي لرسول الله (ص) وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته (ص)، وكان فوق ذلك معروفا بخصوبة عقله، وشدة ورعه، وعظم أمانته، وكمال خلقه، واستقامة دينه.فتردد زيد أول الأمر، لكنه قبِل وشرع يجمع القرآن و أبو بكر وعمر وكبار الصحابة يشرفون عليه، حتى تم لهم ما أرادوا[2] .

وفي ذلك يروي البخاري في صحيحه: أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : "أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، أي عقب استشهاد القراء السبعين في موقعة اليمامة- فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر:

إنّ عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ – أي اشتدّ يوم اليمامة بقراء القرآن، و إني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن و إني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله (ص)؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني، حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر[3].

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله، (ص). فتتبّع القرآن، فاجمعه.فو الله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل عليّ مما أمرني به، من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله (ص)؟.

قال: هذا والله خير، فما زال أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: ﴿ ۞قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

---

[1] – المصدر السابق، ص151.

[2] – ينظر: المصدر نفسه ، ص152.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ص نفسها

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. التوبة:128. حتى خاتمة سورة التوبة (براءة). فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر) أ هـ رواه البخاري والنسائي..

دستور أبي بكر في كتابة الصحف:

انتهج زيد بن ثابت في كتابة القرآن طريقة دقيقة وضعها له أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فيها ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به من تثبت وحذر، وتحريات شاملة، فلم يكتف بما حفظ في قلبه، ولا بما كتب بيده، ولا بما سمع بأذنه، بل جعل يتتبع ويستقصي ، معتمدا على مصدرين هما:

1- ما كتب بين يدي الرسول (ص).

2- ما كان محفوظا في صدور الرجال، وبلغ من الحيطة والحذر أنه لم يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داوود عن طريق يحي بن عبد الرحمان بن حاطب قال: "قَدِم عمر فقال: من كان تلقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح و العسب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان"[1].

ومما أخرجه أبو داوود أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: (اقعدا على باب المسجد،فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه).

وقوبلت الصحف التي كتبها زيد بعناية فائقة، فقد حفظها أبو بكر عنده ،ثم حفظها عمر بعده، ثم حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد وفاة عمر، حتى طلبها منها الخليفة عثمان رضي الله عنه، حيث اعتمد عليها في استنساخ مصاحف القرآن .ثم ردّها إليها.

مزايا هذه الصحفأ- أنها جمعت القرآن على أدق وجوه البحث والتحري، وأسلمِ أصول التثبت العلمي.

ب- أنها اقتُصِر فيها على ما لم تنسخ تلاوته .

ج- أنها ظفرت بإجماع الأمة عليها وتواتر ما فيها[2].

ج- جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه

اتسعت الفتوحات في عهد عثمان (ض) واستبحر العمران، وتفرّق المسلمون في الأمصار، ونبتت ناشئة جديدة كانت بحاجة إلى دراسة القرآن، وطال عهد الناس بالرسول والوحي والتنزيل، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، فأهل الشام يقرؤون بقراءة أُبيّ بن كعب، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة ابن مسعود وغيرهم يقرؤون بقراءة أبي موسى الأشعري،

[1] - نقلا عن: الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص153.

[2] - المصدر نفسه، ص155.

فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة، بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن، واستفحل الداء بينهم حتى كفّر بعضهم بعضا، وكادت تكون فتنة في لأرض وفساد كبير، أخرج ابن أبي داود عن طريق أبي قُلابة أنه قال: "لما كانت خلافة عثمان، جعل المعلّم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، حتى كفّر بعضهم بعضا، فبلغ ذلك عثمان، فخطب فقال: (أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافا)"[1].

وصدق عثمان فقد كانت الأمصار النائية أشد اختلافا، وكان الذين يسمعون اختلاف القراءات من تلك الأمصار إذا جمعتهم المجامع، يعجبون من ذلك، ويزداد إعجابهم كلما سمعوا زيادة في اختلاف طرق أداء القرآن. وأدى بهم التعجب إلى الشك، وتيقظت الفتنة التي كادت تطيح بالرؤوس.

أَضِف إلى ما سبق الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن لم تكن معروفة لأهل تلك الأمصار، فكان كل صحابي في كل إقليم يُقرئهم بما يعرف فقط من الحروف التي نزل عليها القرآن، ولم يكن بينهم مصحف جامع يرجعون إليه فيما شجر بينهم من هذا الخلاف[2].

روى البخاري في صحيحه عن أنس: "أن حُذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان "فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام، أن ينسخوها في المصاحف، وقال لهم: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أُنزل بلسانهم، ففعلوا""[3]. ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"[4].

فشُرِع في تنفيذ هذا الأمر أواخر سنة أربع وعشرين هجرية فعهد نسخ المصاحف إلى أربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ وهم: زيد بن ثابت، عبد الله بن الزبير، سعيد بن العاص، عبد الرحمان بن الحارث بن هشام. وهؤلاء الثلاثة الأواخر من قريش، وأرسل إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر فبعثت إليه

---

[1] – المصدر السابق، ص155.

[2] – المصدر نفسه، ن، ص.

[3] –البخاري (عبد الله بن محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، (باب فضائل القرآن 3506،) طبعة جديدة مضبوطة ومصححة، ومفهرسة، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط1، 1423– 2002. ص1274.

[4] – فضل حسن عباس: محاضرات في علوم القرآن، ص125.

بالصحف التي عندها (وهي الصحف التي جمع فيها على عهد أبي بكر) وأخذت لجنه الأربعة في نسخها.

وجاء في بعض الروايات أن الذين نُدِبوا لنسخ المصاحف كانوا اثني عشر رجلا، وما كانوا يكتبون شيئا إلا بعد أن يُعرض على الصحابة، ويقرُّون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ على هذا النحو.

منهج عثمان بن عفان رضي الله عنه في تدوين القرآن ومزايا الصحف العثمانية:

1- أن الكّتاب لم يكتبوا في هذه الصحف إلا ما تحققوا أنه قرآن ثبتت صحته عن النبي، مما لم ينسخ، وتجريد هذه الصحف من كل ما ليس قرآنا كالذي يكتبه الصحابة رضي الله عنهم في مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى أو بيانا لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك.

2- كتابتها بطريقة كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة، و الأحرف التي نزل عليها القرآن من عدم إعجامها وشكلها، ومن توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرسم الواحد، (أي كتبوا هذه المصاحف متفاوتة في إثبات أو حذف وبدل وغيرها لأن عثمان رضي الله عنه قصد اشتمالها على الحروف السبعة وجعلوها خالية من النقط والشكل تحقيقا لهذا الاحتمال، فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه عند تجرّدها من النقط والشكل نحو: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فتبينوا أن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.الحجرات:6. فإن كلمة (فتبينوا) تصلح فتثبتوا عند خلوها من النقط والشكل. وهي واردة في قراءة أخرى. وكذلك كلمة (ننشرها) في: ﴿ **وانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا**﴾. البقرة:259.

فإن كلمة (ننشرها) عند تجردها من النقط والشكل يجعلها صالحة عندهم أن يقرؤوها ننشزها بالزاي بدل الراء، وهي قراءة واردة أيضا.

وقد استجاب الصحابة لعثمان فأحرقوا مصاحفهم وأجمعوا على المصاحف العثمانية، وبعدئذ بريء المجتمع الإسلامي من جو الخلاف والشقاق، ونامت الفتنة.

ثانيا – معايير ترتيب سور وآيات القرآن الكريم (وقفية أم اجتهادية)

1- ترتيب الآيات: إن ترتيب الآيات على ما هو عليه الآن أمر توقيفي من الرسول (ص)، قال السيوطي: "الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي و لا شبهة في ذلك)[1]. وقال الزرقاني "انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف، كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، بل كان جبريل ينزل بالآيات على الرسول (ص) ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها"[2].

[1] – نقلا عن: مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص139

[2] – الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان ج1و2، ص205

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي (ص) إذ شخص ببصره ثم صوّبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾.النحل: 90. أخرجه أحمد.

– عدد آيات القرآن: "وأما عدد آيات القرآن فقد اتفق العادّون على أنه ستة آلاف ومائتا آية وكسر، إلا أن هذا الكسر يختلف مبلغه باختلاف أعدادهم..."[1].

2– ترتيب السور: لقد اختلف العلماء في ترتيب السور على ثلاثة أقوال:

الأول: أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن لم يكن بتوقيف من النبي إنما كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم.

الثاني :أن ترتيب السور كلها توقيفي بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم كما أخبر به جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل كترتيب الآيات، وأنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر منه (ص).

الثالث: أن ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة.

والقول الثاني هو الراجح لأن هذا الترتيب هو الذي رتبه عثمان رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة رضي الله عنهم، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف، لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالِفة بمخالفتهم[2].

قال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي،كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:ضعوا آية كذا في موضع كذا وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله (ص) ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف[3].

---

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص 203.

[2] – ينظر: عبد المجيد محمود مطلوب: مباحث في علوم القرآن والحديث، ص 124.

[3] – موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، ص59

المحاضرة الرابعة (مكونات النص

القرآني) أولا– للفظة

ثانيا– العبارة

ثالثا–الآية

رابعا–السورة

إن أسلوب القرآن الكريم متميز فريد، يختلف عن غيره من أساليب العرب، له طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، "ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوبه الخاص به، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به"[1].

ومع أن القرآن لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم العربية من حيث ذوات المفردات والجمل وقوانينها العامة، بل جاء كتابا عربيا جاريا على مألوف العرب من هذه الناحية، فمن حروفهم تألفت كلماته، ومن كلماتهم تألفت تراكيبه، وعلى قواعدهم العامة في صياغة هذه المفردات وتكوين التراكيب جاء تأليفه، "ولكن المدهش أنه مع مجيئه إلى العرب بهذه المفردات والتراكيب التي توافروا على معرفتها، وتنافسوا في حلبتها، وبلغوا الشأو الأعلى فيها، برغم ذلك كله فقد أعجزهم بأسلوبه الفذ، ومذهبه الكلامي المعجز"[2]. وإن هذا الإعجاز مرده إلى اللفظة والعبارة.

أولا– اللفظة القرآنية

إن اللفظ المفرد هو جزء من التركيب، وهو لبنة في بناء النظم ولا شك أن له حسناً وقبحاً ذاتيين، فقد يكون لفظ أخف من غيره وأرشق، وقد يكون أجمل إيقاعاً وأحلى جرساً، وقد يكون أبعد من الحوشية والغرابة، وأدنى إلى الأنس والسلاسة، وقد يكون أبعد عن الابتذال والسوقية، وأقرب إلى الجزالة والرصانة، بل الفصاحة والجلالة.

وعن هذا التميز الذاتي للفظ المفرد يقول ابن الأثير: "أن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات، لأنها مركبة من مخارج الحروف، فما استلذه السمع منها فهو الحسن، وما كرهه ونبا عنه فهو القبيح".[3]

ولقد أطال ابن الأثير بعد ذلك الكلام على خصائص اللفظ المفرد وشروط الحسن فيه، فذكر من ذلك ما أورده ابن سنان الخفاجي فيما يتعلق باللفظة الواحدة من الأوصاف، وقسمها إلى عدة أقسام: "كتباعد مخارج الحروف، وأن تكون الكلمة جارية على العرف العربي غير شاذة، وأن تكون مصغَّرة في موضع يُعبر به عن شيء لطيف، أو خفيّ أو ما جرى مجراه، وألا تكون مبتذلة بين العامة، وغير ذلك من الأوصاف"[4].

ومن تلك الأوصاف كذلك: دقة اللفظ في التعبير عن المعنى، وحلاوة جرسه وسهوله نطقه، وجمال إيقاعه، بحيث لا يتألف من حروف متقاربة المخارج، مما يجعله عسير النطق، ثقيلاً على اللسان.

---

[1]– الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان ج1و2، ص 449.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، مصر، ص 169.

[4]– المصدر نفسه، ص 172.

وذكر من ملامح الحسن في اللفظ المفرد جزالته، ولكن الجزالة لا تعني أن يكون اللفظ "وحشياً متوعراً، عليه عنجهية البداوة، بل أن يكون متيناً على عذوبته في الفم، ولذاذته في السمع"[1].

ويقدم ابن الأثير أمثلة عن ذلك من القرآن فيقول:

"انظُرْ إلى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا، وما جرى هذا المجرى، فإنك لاترى شيئا من ذلك وحشيَ الألفاظ، ولا متوعرا، ثم انظر إلى ذكر الرحمة والرأفة والمغفرة، والملاطفات في خطاب الأنبياء وخطاب المنيبين والتائبين من العباد، وما جرى هذا المجرى، فإنك لاترى شيئا من ذلك ضعيف الألفاظ ولا سفسفا"[2].

فمثال الأول وهو الجزل من الألفاظ، قوله تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾. الزمر: 68-69.

وأما مثال الثاني: وهو الرقيق من الألفاظ، فقوله تعالى في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾. الضحى: **1-3.**

وكذلك قوله تعالى في ترغيب المسألة: ﴿ **إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾.البقرة: **186**. "وهكذا ترى سبيل القرآن الكريم في في كلا هذين الحالين من الجزالة والرقة"[3].

ليس المقصود باللفظة القرآنية الكلمة المفردة، وإنما مكانة الكلمة في النظم القرآني المعجز لأن قيمة المفردات ليست ذاتية وإنما تعود قيمتها إلى مكانها من النظم المعجز الأخاذ، ومعلوم أن التحدي لم يحصل بالكلمة بل أقل ما حصل بسورة. ويظهر الإعجاز اللغوي في الكلمة القرآنية من عدة وجوه:

1- الكلمة في القرآن مسوقة في موقعها المناسب لتؤدي المعنى المراد وتتلاءم من الناحية اللفظية والمعنوية مع ما قبلها وما بعدها، وفق نظام صوتي عجيب ونريد بذلك "اتساق القرآن في حركاته وسكناته، ومدّاته وغنّاته، واتصالاته وسكناته اتساقا عجيبا وائتلافا رائعا، يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور"[4]. خذ مثالا لذلك قوله تعالى: ﴿**وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ**﴾.

---

[1] ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص185 .

[2] – المصدر نفسه، ص 186.

[3] – المصدر نفسه، ص 187

[4] – المصدر نفسه، ص453.

الفجر:1-5. فلو استبدلت كلمة الفجر بكلمة الصبح أو كلمة الوتر بكلمة الفرد أو كلمة الحجر بكلمة العقل لاختل حسن نظم الكلمات.

وتأمل أيضا كلمة يسر تجد أن الياء حذفت منها للانسجام مع كلمة الفجر، عشر الوتر، الحجر ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿...**ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾. مريم:1-4. فلو تقدمت كلمة مِنّي على كلمة العظم لاختل النظم في الآيات ولأحسست بما يشبه الكسر في وزن الشعر.

2-إن الكلمة القرآنية مسوقة في موقعها المناسب بحيث تغطي بمدلولها ما تلقيه من ظلال المعنى المراد بكماله وتمامه مع ما فيه من إيحاءات ، ولو استبدلت بغيرها ما استفيد المعنى المراد. وقد تجد كلمة في القرآن الكريم تعبر عن معنى يعجز البشر عن التعبير عنه إلا بعدة كلمات .

خذ مثالا لذلك، كلمة استقاموا في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...** ﴾. الأحقاف:1. فقد جمعت هذه الكلمة الإتيان بالخير كله والبعد عن الشر كله.

3- هناك بعض الكلمات يظن القارئ أنها مترادفة ، فإذا تأملت استعمالاتها في القرآن رأيت بعضها استعمل في موطن والبعض الآخر في موطن آخر، وفي كل موضع يبلغ التعبير القرآني ذروته في حسن الصياغة ودقة التعبير .

خذ مثالا لذلك، كلمتي (هامدة) ، (خاشعة) استعملت في القرآن للدلالة على الأرض قبل نزول المطر وخروج النبات منها ، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ الحج:5.

ثانيا-العبارة (الجملة) القرآنية: قال ابن الأثير: "قد قدّمنا القول في شرح أحوال اللفظة المفردة وما يختص بها. وأما إذا صارت مركبة، فإن لتركيبها حكما آخر. وذاك أنه يَحدث عنه من فوائد التأليفات والامتزاجات ما يخيل للسامع أن هذه الألفاظ ليست تلك التي كانت مفردة"[1].

ثم يضيف: "واعلم أن صناعة تأليف الكلام تنقسم إلى ثمانية أنواع هي: السجع ويختص بالكلام المنثور. التصريع ويختص بالكلام المنظوم، وهو داخل في باب السجع، لأن الكلام المنظوم كالسجع في الكلام المنثور. التجنيس وهو يعم القسمين جميعا. والترصيع وهو يعم القسمين أيضا جميعا. ولزوم ما

[1] - المصدر السابق، ص 209

لا يلزم: وهو يعم القسمين أيضا. والموازنة وتختص بالكلام المنثور. واختلاف صيغ الألفاظ وهو يعم القسمين جميعا. وتكرير الحروف، وهو يعم القسمين جميعا".[1]

ثم يفصل ابن الأثير بالأمثلة ورود تلك الطرق التحسينية في نظم السور القرآنية بالأمثلة من الآيات والحديث النبوي، موازنا بينها وبين كلام العرب المشتمل على مثل هذه القضايا دون أن يرقى إلى مستوى بلاغة القرآن الكريم الذي جاء في أعلى درجات الكلام.

إذن ما سبق قوله في الكلمة القرآنية نقوله في الجملة القرآنية، وهو أن المقصود هو مكانة الجملة في النظم القرآني المعجز لا الجملة المفردة ، لأن قيمة الجملة ليست ذاتية ، وإنما تعود إلى مكانها من النظم المعجز الأخاذ، لذلك أقل ما وقع به التحدي السورة لا الجملة .

ومظاهر الإعجاز في الجملة القرآنية كثيرة منها :

الأول : أنها مسوقة في موقعها المناسب لتتلاءم مع ما قبلها وما بعدها ، وتنبئ عن حسن نظم الكلمات وهي غاية في الإحكام والترابط . ولهذا كان حفظ القرآن أيسر من حفظ سائر أنواع النثر . مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ**﴾. ٱلقمر:36. فلو أخذنا كلمة (النذر) منفصلة عما قبلها في الآية لوجدنا ثقلا في توالي الضمة على النون والذال معا لكن الكلمة جاءت في القرآن متلائمة تماما مع السياق يقول الرافعي " :تأمل مواضع القلقلة[2] في دال (لقد) وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تماروا) ، مع الفصل بالمد ، ليكون تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان ، ليكون ثقل الضمة عليه مستخفا بعد ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة ثم ردد نظرك في الراء من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء)النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها فلا تجفو عليه ولا تغلظ ولا تنبو فيه ، ثم اعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون) أنذرهم) وفي ميمها ، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر .

الثاني :أن الجملة القرآنية تدل على معنى واسع يعجز عنه الناس بعبارات كثيرة ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**نَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾. النحل:90. فقد جمعت هذه الآية كل خير ونهت عن كل شر قال ابن مسعود رضي الله عنه : "إن أجمع آية للخير والشر في سورة النحل: (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**...).

أولا – تعريف الآية

---

[1] – المصدر السابق، ص 209.

[2]– القَلْقَلَةُ في علم التجويد (ن ينتهي النطق بالحرف الساكن بحركة خفيفة، ولا يكون إلاَّ في حرفٍ شديدٍ غيرِ مهموس، وهي حروف: قُطبجد .

1– أولا– معنى الآية

1– تعريف الآية: الآية في اللغة تطلق على عدة معاني[1]:

أ– المعجزة لقوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. البقرة:211.

ب –العلامة ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ "﴾. البقرة: 248. **أي** علامة ملكه.

ج– العبرة ومنه قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ العنكبوت:44. أي عبرة لمن يعتبر.

د– الأمر العجيب. ومنه قوله تعالى:"﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. المؤمنون: 50.

هـ – البرهان والدليل: ومنه قوله جل شأنه:" **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾.** الروم:22.

أما في الاصطلاح: الآية هي طائفة من القرآن ذات مبدأ ومنتهى، مندرجة في سورة يسمى آخرها فاصلة[2].

2– طريقة معرفة الآية: لا سبيل إلى معرفة آيات القرآن إلا بتوقيف من الشارع[3]، لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيها، إنما هو محض تعليم وإرشاد من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة.

عدد آيات القرآن جاء في مناهل العرفان للسيوطي: "وأما عدد آي القرآن فقد اتفق العادّون على أنه ستة آلاف ومائتا آية وكسر، إلا أن هذا الكسر يختلف مبلغه باختلاف أعدادهم"[4].

ثانيا تعريف السورة: السورة في اللغة تطلق على ما ذكره صاحب القاموس بقوله: "والسورة المنزلة، ومن القرآن معروفة، لأنها منزلة بعد منزلة: مقطوعة عن الأخرى، والشرف، وما طال من البناء وحسن، والعلامة، وعرق من عروق الحائط"[5].

قال النابغة يمدح النعمان بن المنذر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

---

[1] – ينظر: الزر قاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص201.

[2] – فضل حسن عباس، محاضرات في علوم القرآن، ص73.

[3] – الزرقاني عبد العظيم: مناهل العرفان ج1و2، ص205.

[4] – المصدر نفسه، ص203.

[5] – نقلا عن: الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان ج1و2، ص207.

ويمكن تعريفها اصطلاحا "بأنها طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع. قالوا وهي مأخوذة من سور المدينة، وذلك إما لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية، كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة، ويقام كل صف منه على صف"[1].

وتجمع على سوَر ، كغرفة وغُرف، فمعناها: المنزل أو المكان المرتفع، ومنه سور المدينة. أو المنزلة الرفيعة، ومنه قول النابغة الذبياني:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملْك دونها يتذبذب

أي: منزلة لا يبلغها أو يرتقي إليها سائر الملوك.

وقد قيل في القطعة من القرآن المشتملة على آي ذوات فاتحة وخاتمة- وأقلها ثلاث آيات- سورة لأنها تحيط بالآيات التي تضمها إحاطة السُّور، أو لارتفاعها وشرفها. وقد قيل: إنها سميت بذلك لتمامها وكمالها، من قول العرب للناقة التامة: سورة.

- عدد السور وأسماؤها واختلاف مقاديرها

سور القرآن الكريم مختلفة طولا وقصرا، فأقصر صورة هي الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار (عشر كلمات). وأطول سورة هي البقرة، وهي مائتان وست وثمانون آية، ومعظم آياتها من الآيات الطوال.

وتبلغ عدد سور القرآن مائة وأربعة عشر سورة وقد قسمها العلماء أربعة أقسام هي: "الطوال، المئون، المثاني، المفصل. فالطوال: سبع سور هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والسابعة الأنفال مع التوبة (لعدم الفصل بينهما بالبسملة) وقيل يونس"[2].

والمئون: هي السور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها، أي التي في حدود مائة آية.

والمثاني: هي التي تلي المئين في عدد الآيات، وقال الفراء: هي السورة التي آيها أقل من مائة آية لأنها تُثنَّى –تكرر وتعاد- أكثر من الطوال والمئين.

والمفصل: هو أواخر القرآن، وصحح النووي أن أوّله "الحجرات" وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة.

والمفصل أقسامه ثلاثة:

1- طوال المفصل. من الحجرات إلى البروج.

2- أواسط المفصل.من الطارق إلى البينة.

3-قصار المفصل. من الزلزلة إلى الناس. والله أعلم.

---

[1] - المصدر نفسه، ص208.

[2] - موسى إبراهيم الإبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن، ص59.

المحاضرة الخامسة

القصة القرآنية خصائصها أهدافها

أولا: تعريف القصة لغة واصطلاحا

ثانيا:أنواع القصص القرآني

ثالثا:خصائص القصة القرآنية

رابعا: أهداف القصة القرآنية

في القرآن الكريم أكثر من شكل تعبيري من خطاب وحوار وقصة ومثل وكلها، وكثير من أنماط الكلام مثل الخبر والإنشاء، وكثير من أساليب الخطاب مثل الأمر والنهي والزجر والوعظ والترغيب والترهيب، وكل هذه الأمور تلتقي لتحقيق هدف واحد هو التأثير على عقل المتلقي وقلبه ووجدانه و هدايته إلى ما فيه خيره وسعادته في الدارين، لأن البشر يختلفون في طبائعهم واستعداداتهم، فمنهم من يتأثر بالقصة وما فيها من تأثير وجداني حيّ، ومنهم من تقنعه البراهين والحجج العقلية، ومنهم من يتأثر بالترغيب والترهيب، وقد ترد هذه القوالب التعبيرية مستقلا بعضها عن بعض، وقد تجتمع وغالبا ما تجتمع في القصة القرآنية، فتأتي القصة جامعة للأحداث والحوار والخطاب بما فيه من أمر ونهي ونداء واستفهام...

أولا: تعريف القصة

أ– لغةً : يطلق الفعل الثلاثي قصَّ في اللغة على عدّة معاني:

1– تتبع الأثر، يقال قصصت أثره (أي تتبعته) والقصص مصدر قال تعالى:﴿ **قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾.الكهف: 64. أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به[1]. وقال على لسان أم موسى: ﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ** ﴾.القصص:11. أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه. ومنه القصاص، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابْ﴾. البقرة: 179. "لما فيه من تتبع أثر الجاني ومجازاته بمثل فعله من قتل أو قطع أو جرح"[2]. والقصص كذلك الأخبار المتتبعة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾. آل عمران: 62. **وقال أيضا:**﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾.يوسف: 111.

2– الإعلام والإخبار: يقال قصَّ عليه ما حدث : أخبره به وأعلمه إياه، وقصّ عليه الرؤيا : أخبره عليه خبره أورده على وجهه، ومنه قوله سبحانه: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.القصص:25.

3– البيان، ومنه قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾.يوسف3.. أي نبين لك أحسن البيان. والقصة: الأمر، والحديث، والجملة من الكلام، والخبر. و القِصَصْ: جمع قصة التي تكتب، والقَصَص بالفتح، رواية الخبر، والخبر المقصوص، والأثر.

---

[1] – مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص300.

[2] – فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط14، 2005. ص 606

وقَصص القرآن: أخباره عن الأمم الماضية والنبوءات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه[1].

والقصص القرآني من العلوم المستنبطة من القرآن الكريم يقول السيوطي ذاكرا العلوم التي احتوي عليها القرآن: "وعلم القصص هو الاطلاع علي أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه"[2].

ب– اصطلاحا: القصة "حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معًا، وُتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي"[3].

وهي "وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة أو عددًا من الحوادث بينها ترابط سردي ويجب أن تكون لها بداية ونهاية".[4]

أو هي فن أدبي يتناول حادثة أو مجموعة حوادث تتعلق بشخصية أو مجموعة من الشخصيات الإنسانية في بيئة زمانية ومكانية ما، تنتهي إلى غاية أو هدف بُنيت من أجله القصة بأسلوب أدبي ممتع ، كما أنها تجمع بين الحقيقة والخيال".[5]

بعد سرد هذه التعريفات، تتكشف لنا أهم النقاط التي يجب توافرها في أي قِصة أدبية حتى تسمّى بذلك، وهي:

أولا: فن أدبي له قواعده وأهدافه. **ثانيًا:** حكاية نثرية قد تجمع بين الحقيقة والخيال.

ثالثًا: وسيلة للتعبير عن الحياة. **رابعًا:** ذات أسلوب ممتع وشائق.

ثانيا– أنواع القصص القرآني: والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول:

قصص الأنبياء التي تذكر دعوتهم إلي قومهم ومراحلها ومعجزاتهم وعاقبة المؤمنين بهم والمكذبين; كقصة سيدنا نوح وإبراهيم وموسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء المرسلين، عليهم جميعا السلام.

النوع الثاني:

قصص تتعلق بحوادث غابرة وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة طالوت وجالوت وابني آدم وأهل الكهف وذي القرنين و وقارون وأصحاب السبت ومريم وأصاب الأخدود وأصحاب الفيل وغيرهم.

---

[1] – مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص300.

[2] – السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن،ج3، ص 364.

[3] – إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص 739.

[4] – محمد كامل حسن: القرآن والقصة الحديثة، ط1، بيروت دار البحوث العلمية 1971، ص9.

[5] – زايد فهد: أسرار القصة القرآنية، ط1، دار يافا، عمان 2007،ص 11.

النوع الثالث:

قصص أخرى تذكر الأحداث التي وقعت في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة،وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، وقصة الإسراء في سورة الإسراء ونحو ذلك[1].

ثالثا– خصائص القصة القرآنية:

للقصة القرآنية صفات وخصائص تميزت بها عن سائر أنواع القصة الأدبية؛ لأن القصة القرآنية مصدرها الله تعالى، ومكانها القرآن الكريم، وهذا يعلي من شأنها ومنزلتها، ويبرزها على سائر القصص، ويدعو الباحثين والدارسين إلى التعامل معها وفق هذا المعيار.

ويسجل الباحث من خلال تتبع مواضع ذكر القصص في القرآن ومراجعة الكتب ذات الصلة، الخصائص التالية للقصة القرآنية.

1–ربانية المصدر: فالقصة تبعا للقرآن كله من الله تعالى لها من الخصائص ما للقرآن الكريم نفسه، وليس للرسول فيها إلا البلاغ[2]:﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾.النجم:3-4.

2– القصص القرآني هو أحسن القصص قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هُذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾.يوسف: 3 . فقصص القرآن هو الأحسن على الإطلاق، ويبدو هذا جليا من خلال اختيار القرآن لصيغة(أَفْعَلْ) اسم تفضيل لتدل على أفضلية القصص المذكورة فيه على سائر القصص،وهذا الوصف هو اختيار الله تعالى، ومما يدل على ذلك أيضا، أن الله هو الذي يقصه ويرويه، وما يخبر الله به فهو الحق والصدق والأفضل.

ومما يلمح من خلال هذا الوصف أن القرآن يدعو إلى الاكتفاء بما قصّه وعدم الالتفات إلى المصادر البشرية مثل الإسرائيليات والأساطير للحصول منها على تفصيلات سكت عنها القرآن.

وقصص القرآن هو أحسن القصص؛ لأن القصة إذا كانت ممتعة فحسب، فهي قصة عابرة، وإذا كانت مفيدة فحسب، فهي جافة، غير أن القصص القرآني فيه أحسن السياق والصياغة والبلاغة إلى حد الإعجاز، وفيه القيم الإنسانية، وفيه المتعة والتشويق والجمال بكل معانيه.

3– مطابقة الواقع والصدق وأنها حقيقة لا خيال، وبيان ذلك أن كل ما جاء في القرآن من قصص وأحداث وأخبار واقع حقيقة كما أخبر الله تعالى، وليس نسج خيال، "وإنما يلجأ البشر إلى الخيال حين تعجز قدراتهم العلمية عن الإحاطة بأحداث التاريخ، واستخراج الحدث الذي يحتوي على ما يريدون إظهاره من أفكار وآراء، وهذا شأنهم، فيعوضون ذلك العجز بالخيال، وكثيرا ما يتمنى الإنسان شيئا

---

[1] – ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص301.

[2] – فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص 610.

فيعجز عنه حقيقة فيلجأ إلى الخيال يصور ماذا يفعل لو كان، وهذا شأن الأدباء البشر في قصصهم أحيانا"[1].

أما الله سبحانه وتعالى فلا يعجزه شيء وهو العليم الخبير بما كان وما سيكون، فيحكي من أحداث الأمم الماضية الواقعة ما يناسب السورة. وقد وصف الله تعالى قصص القرآن بذلك:﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾.آل عمران:62. و﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾.الكهف:13.و﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾.يوسف:111.

﴿**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ**﴾.الأعراف:7. و ﴿ **قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾. الأنعام:57. هذه الآيات تؤكد أن ما قصه الله تعالى على الناس في كتابه حقيقة لا خيال، وصدق لا كذب، وهذا التأكيد والتشديد ليوقن جميع من يقرأ القرآن، أو يسمعه، أن هذا القصص حقيقي وواقعي، لا مراء في ذلك ولا جدال.

وأما من يقول إن القصص القرآني فيه خيال أو أساطير، فهو يريد أن يُطبّق القوانين البشرية على الأحكام الربّانية ، والفنون الأدبية على الآيات القرآنية ، وهذا لا يليق بكتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل إنه يخالفه مخالفة صريحة، وينبغي عليه مراجعة دراساته من جديد، وتنزيه كلام الله عن كل نقص وعيب ، وتعلية مكانه ومنزلته في القلوب والعقول.

4- القصة القرآنية هادفة. فهي ليست عرضًا مجردًا لحقائق التاريخ، بل هي انتقاء لجوانب منه- إيجابية أو سلبية- لتحقيق أهداف القصة المرجوّة ، وهي لم تقصد التأريخ المجرّد، بل اتخذت منه مجالا للموعظة والاعتبار. والتأسي.يقول تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾.يوسف:111. ويقول: ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾.الأعراف:176.

5- التكرار : إذا كان الله تعالى يعرض من القصة ما يلائم موضوع السورة ، فإن هذا يقتضي تكرار عرض القصة في أكثر من سورة، سواء كان عرضا كاملا مختلفا عن العرض الأول أو عرضا جزئيا[2].

---

[1] – المرجع نفسه، ص 610.

[2] – فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم،، ص 612.

ومن فوائد هذا التكرار:

أ- قوة الإعجاز: كما قال الباقلاني: "وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ، ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله، مبتدأ به ومكررا، ولو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدوا تلك القصة فعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدي معناها.. وجعلوها بإزاء ما جاء به ، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مساواته فيما جاء به، كيف وقد قال لهم: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾. الطور:34.

وقال الزركشي: "كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاؤوا، وبأيّ عبارة عبّروا"[1].

ب- بيان بلاغة القرآن الكريم في أعلى مراتبها ومن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد فيكل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب الآخر، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى[2].

ج-أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئا لم يذكره في المرة الأولى، فقد يوجد في ألفاظها زيادة أو نقصان، وتقديم وتأخير، ويذكر في كل منها ما لم يذكر في الأخرى لتنويع الفوائد وتوزيعها.

د- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد، بل التكرار أبلغ من التأكيد.

هـ- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة ، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في مقام آخر حسب أهداف السورة وأغراضها[3].

6- القصّة القرآنية ذات طابع فّني رائع

أشار إلى نوع من الإعجاز البياني لقصص القرآن الكريم، هو الإعجاز الفني، فالقرآن الكريم يجعل الجمال الفّني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ، فيخاطب حاسّة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفّني. والقصة في القرآن تتنوع طريقة عرضها للأحداث، فمرة يذكر الملخص أو العاقبة ثم يعرض التفاصيل، ومرة يبدأ بالقِصّة مباشرة بلا مقدّمة ولا تلخيص، ومرة ُتعرض القصة من أولها، وتارة من نهايتها، ومرة ُتعرض كاملة، وتارة تعرض بعض حلقاتها. وكما تتنوّع طريقة العرض تتنوّع طريقة المفاجأة ، فمرة يكتم سرّها عن بطل القصّة

---

[1] - الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن ج3، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، مصر، 2006. ص 27. .

[2] - مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص302.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص 303.

وعن الذي يقرأها ، ومرة يكشفها للقارئين دون الأبطال، ومرة لا يكون هناك سرّ ، بل تواجه المفاجأة كليهما جميعا . ومن الخصائص الفّنية للقِصّة تلك الفجوات بين المشهد والمشهد يملؤها خيال القارئين.

7– ومن أبرز خصائصها الفّنية أيضًا، إقامة العرض على التصوير، فالتعبير القرآني. يتناول القصّة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها، فتستحيل القِصّة حادثًا يقع ومشهدًا يجري، لا قصّة ُتروى، ولا حادثًا قد مضى، والتصوير يكون على ألوان ، لونٌ يبدو في قوّة العرض والإحياء، ولونٌ يبدو في تخييل العواطف والانفعالات، ولونٌ يبدو في رسم الشخصيّات.

تلك هي أهم خصائص ومميزات القصّة القرآنية- وهي وإن كانت مختصَرة -إلا أن قارئ القرآن إن فهمها ووعيَها، واستشعرها عند تلاوة القرآن أو سماعه، فسيعظم كتاب الله ومُنزَله جلّ جلاله، وسيقوى إيمانه ، ويزداد يقينه ، وسيعيش معه كأنه في روضة من رياض الجنة.

رابعا– أهداف القصة القرآنية: للقصص القرآني أهداف كثيرة نجمل أهمها فيما يلي[1]:

1–الغبرة والعظة: لأن القرآن كتاب هداية رشد الخلق إلى خالقهم، ولا شك أن للقصص القرآني دور بارز في الهداية، فعندما يقص علينا أخبار الرسالات السابقة والأمم الغابرة ويبين لنا مصير المؤمنين والكافرين، فليس هذا للتسلية والتاريخ، وإنما للاعتبار والاتعاظ بهذه الأحداث، وقد قال الله تعالى لرسوله بعد أن سرد عليه لفيفا من الأنبياء: ﴿ **وَلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ**﴾. الأنعام:90. وقال تعالى بعد أن قص علينا سيرة يوسف عليه السلام: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ...** ﴾.يوسف:111.

2 – إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان وسيرة النبيين مع أقوامهم، وبيان عمق هذا الدين في فطرة الناس وأن جميع الأنبياء كانت دعوتهم التوحيد الخالص لله تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾.الأنبياء:25.

3 – تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله، وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله: ﴿ **وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾.هود: 120.

4- تأكيد صدق الأنبياء السابقين علهم السلام، "فالقرآن يصرح برسالاتهم ونبوءاتهم، ويصرح بأسمائهم، ويشهد لهم بالصدق وتبليغ الدعوة، فليس لأحد أن يشك في نبوتهم ولذا كان الإيمان بالرسل من أركان الإيمان"[2].

---

[1] – ينظر: موسى إبراهيم الإبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، ص 185.

[2] – فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص609.

5- إظهار صدق الرسول صلى الله عليه وسلم: فالرسول كان أميا لا يقرأ ولا يكتب،ولم يعف عنه مجالسة لأحد اليهود والنصارى وورود هذه القصص من مثله صلى الله عليه وسلم دال على رسالته وتلقيه الوحي.

وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

6- إظهار صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

7- مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البيّنات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾.آل عمران:23.

8- والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغى إليه السمع، وترسخ عبره في النفس.

المحاضرة السادسة

(سياقات النص القرآني)

أولا– السياق السببي (أسباب النزول)

تمهيد

1– تعريف سبب النزول

2– فوائد معرفة سبب النزول

3– طريق معرفة سبب النزول

4– تعدد الأسباب والنازل واحد

5–تعدد النازل والسبب واحد

6–تعدد النازل لتعدد الأسباب

7– تقدم نزول الآية على الحكم

ثانيا– السياق المكاني (المكي والمدني)

1 – تعريف المكي والمدني من القرآن

2–كيفية معرفة المكي والمدني

3– أهمية معرفة السور المكية والسور المدنية

4– مميزات السور المكية والسور المدنية

أولا السياق السببي (أسباب النزول)

تمهيد: القرآن قسمان قسم نزل من الله غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة، إنما هو لهداية الخلق، وهو الكثير الظاهر الذي لا يحتاج إلى بحث وبيان، وقسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة، وهو الذي نتعرّض له في هذه المحاضرة. و قد انتدب لهذا العلم جماعة من الدارسين أفردوه بالتأليف منهم: عليّ بن المديني شيخ الإمام البخاري. ومنهم الو احدي (ت427هـ)، والجعبري (ت732هـ)،وابن حجر (ت852هـ)، ومنهم السيوطي (ت911هـ) الذي وضع فيه كتابا أسماه (لباب النقول في أسباب النزول)[1].

و من مباحث هذا العلم: معنى سبب النزول، فوائد معرفة أسباب النزول، طريق معرفة أسباب النزول، حكم تعدد الأسباب والنازل واحد، تعدد النازل والسبب واحد، تعدد النازل لتعدد الأسباب، تقدم نزول الآية على الحكم[2].

تعريف سبب النزول: هو ما نزلت الآية أم الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه، أيام وقوعه*. والمعنى أن حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤال وُجِّه إليه، فنزلت الآية أو الآيات ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب ذلك السؤال[3].

وذلك كالذي روي عن ابن عباس، قال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"﴾. الشعراء: 214.خرج النبي (ص) حتى صعد الصفا، فهتف:يا صباحاه، فاجتمعوا إليه، فقال:أرائيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيَّ؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذبا، قال فإني نذير لكم بين يديّ عذاب شديد. قال أبو لهب: تبا لكَ! إنما جمعتنا لهذا؟ ثم قام. فنزلت هذه السورة :﴿ **تبت يدا أبي لهب..** ﴾[4]. المسد: 1.

و كالخلاف الذي دبّ بين جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج بِدسيسة من اليهود،-أعداء الله- حتى تنادت الجماعتان: السلاح، السلاح، فنزل بسببه الآيات الحكيمة من سورة آل عمران:

---

[1]- الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص72.

[2] -ينظر: المصدر نفسه، ص ن.

* - معنى أيام وقوعه: قد يقع النزول عقب السبب مباشرة،وقد يتأخر النزول لحكمة من الحكم كما حدث حين سألت قريش الرسول (ص) عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن الرجل الطواف لتعجيزه، فقال :أجيبكم غدا ولم يستثن – أي لم يقل إن شاء الله- فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه كلام قريش، والحكمة من ذلك هي أدب الاستثناء.(ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غدا إلاّ أن يشاء الله) الكهف 23-24. ينظر، الزرقاني، مناهل العرفان، ص72.

[3] -ينظر: الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص72.

[4] - أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، نقلا عن: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص73.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾.آل عمران:100. والآيات التي بعدها. وهي من أروع ما ينفّر من الانقسام والشقاق، ويرغّب في المحبة والوحدة والاتفاق.

وكالخطأ الفادح الذي ارتكبه ذلك السكران الذي أمّ الناس في الصلاة ثم قرأ السورة بعد الفاتحة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾. وحذف لفظ (لا). فنزلت الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ... ﴾[1]. النساء: 43.

أم كان ذلك سؤالا يتصل بأمر مضى، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾. الكهف:83. أم يتصل بحاضر نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.الإسراء:85. أم يتصل بمستقبل نحو قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا... ﴾[2].النازعات:42.

أم كانت تلك الحادثة تمنيا من التمنيات، ورغبة من الرغبات كموافقات عمر رضي الله عنه، ومن أمثلتها ما أخرجه البخاري وغيره عن أنس (ض) قال: قال عمر: (وافقت ربي في ثلاث: قلت : يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى. فنزلت : ﴿**واتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾. البقرة:125. وقلت يا رسول الله، نساؤك يدخل عليهنّ البَرّ والفاجر، فلو أمرتهنّ أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب: ﴿ **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ** ﴾.الأحزاب:53.

واجتمع على رسول الله نساؤه في الغيرة فقلت لهن: "**عسى ربه إن طلّقكنّ أن يبدِّله أزواجا خيرا منكن**"، فنزلت كذلك وهذه الآية في سورة التحريم: آية:5.

2- فوئد معرفة أسباب النزول:

أ- معرفة حِكمة الله فيما شرّعه بالتنزيل ،فالمؤمن يزداد إيمانا على إيمانه، وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم إلى الإيمان إن كان منصفا،حين يعلم أن هذا التشريع قام على رعاية مصالح الإنسان،وخصوصا إذا لاحظ سير ذلك التشريع، وتدرّجه في موضوع واحد،(مثل التدرج في تحريم الخمر).

---

[1] – الزرقاني عبد العظيم): مناهل العرفان، ص72.

[2] – المصدر نفسه، ص73.

ب– الاستعانة على فهم الآية، ودفع الإشكال عنها، قال الواحدي في كتابه (أسباب النزول): لا يكمن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها" [1].

وقال ابن تيمية : "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[2].من مقدمة :أصول التفسير ص 72.

ولْنبيِّن ذلك بهذين المثالين:

1– قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه ، **إن الله سميع عليم**﴾. البقرة:115.

إن ظاهر اللفظ في هذه الآية يدل على أن للإنسان أن يصليَ إلى أيّة جهة شاء، ولا يجب أن يتولى القبلة شطر المسجد الحرام لا في سفر ولا في حضر[3].

لكن إذا علم أنّ هذه الآية نزلت في نافلة السفر خاصة أو في من صلى باجتهاده، ثمّ بان له خطؤه ، تبيّن له أن الظاهر غير مراد،إنما المراد هو التخفيف على خصوص المسافر في صلاة النافلة، أو على المجتهد في القبلة إذا صلى وتبيّن له خطؤه. وعن ابن عمر (ض) أنّ هذه الآية نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت.

2– وقال أيضا: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا"﴾. الإسراء:110.

جاء في تفسير هذه الآية، عن ابن عباس رضي الله عنه : نزلت هذه الآية والرسول(ص) مختفٍ بمكة وكانوا إذا سمعوا القرآن، سبّوا القرآن ومن أنزله ،ومن جاء به، فقال الله عزّ وجلّ لنبيه: (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتكم فيسمع المشركون فيسبوا القرآن. (ولا تخافت بها) أي عن أصحابك فلا يسمعون.

ج– معرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيها: وفي ذلك إسناد الفضل لأهله ونفي التهمة عن البريء الذي ألصق به ما هو براء منه، مثل ما روي عن عائشة رضي الله عنها ،أنها ردّت على مروان بن الحكم حينما اتهم أخاها عبد الرحمان بن أبي بكر بأنّه هو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين﴾. الأحقاف:17. وقالت له : والله ما هو به، ولو شئتُ أن أسمّيه لسميته[4].

د– تخصيص الحكم بالسبب، فمن لا يعرف السبب لا يمكنه معرفة المقصود بالآية.

---

[1] – السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، ص 190.

[2] – المصدر نفسه، ص 190–191.

[3] – ينظر: الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص 74.

[4] – ينظر: السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، ص 195.

هـ- تثبيت الوحي وتيسير الحفظ والفهم وتأكيد الحكم في ذهن من يسمع الآية، إذا عُرِفَ سببها ،لأن ربط الأسباب بالمسببات ،والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص و الأزمنة والأمكنة، كل ذلك من دواعي تقرير الأشياء في الأذهان، وسهولة استذكارها عند تذكر ما يقارنها ،وذلك ما يعرف في علم النفس بقانون تداعي المعاني (الأفكار).

3- طريق معرفة سبب النزول: لا طريق لمعرفة سبب النزول إلا النقل لصحيح ،روى الواحدي بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[1].

وقد فسر الزرقاني ذلك بقوله: "وعلى هذا فإنْ رُوي سبب النزول عن صحابي فهو مقبول، وإن لم يعتضد (أي يعزز) برواية أخرى تقوّيه. لأن قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه، حكمه حكم المرفوع إلى النبي (ص)؛ لأنه يبعد أن يكون الصحابي قد قال ذلك من تلقاء نفسه، على حين أنه خبر لا مردّ له إلا السماع والنقل، أو المشاهدة والرؤية.

أما إذا رُوي سبب النزول بحديث مرسل (أي سقط من سنده الصحابي وانتهى إلى التابعي) فحكمه أنه لا يقبل إلا إذا صح واعتضد بمرسل آخر، وكان الراوي له من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة ،كمجاهد وعِكرِمة وسعيد بن جبير"[2].

4-العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: ذهب جمهور العلماء إلى أن حكم الآية التي تنزل بسبب سؤال من شخص معين، أو عقب حادثة تتعلق بشخص معين، يشبه الحالات التي تشبه حالة من نزلت الآية بسببه، وهو ما يعبرون عنه بعبارة (الأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فمن ذلك قول الطبري، بعد أن تحدث عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿ ﴾.**آل عمران: وهو: "وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرناه أنها نزلت فيه، من أهل الشرك، فإنه معنيٌّ بها كل مبتدع في دين الله بِدعة، فمال قلبه ليها، تأويلا منه لبعض متشابه آي القرآن"**[3]

5- تعدد الأسباب والمنزل واحد:

وذلك أن تقع عدّة وقائع في أزمنة متقاربة، فتنزل الآية لأجلها كلّها ، وذلك واقع في مواضع متعددة من القرآن الكريم والعمدة في ذلك على صحة الروايات، فإذا صحت الروايات بعدة أسباب ولم يكن ثمّة ما يدل على تباعدها كان ذلك دليلا على أن الكل سبب لنزول الآية أو الآيات[4].

---

[1] – رواه أحمد في مسنده تحت رقم (3025). نقلا عن: الزرقاني: مناهل العرفان، ص 76.

[2] – الزرقاني عبد العظيم): مناهل العرفان، ص76.

[3] – نقلا عن: غانم قدوري الحمد: محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، الأردن، ص 39.

[4] – ينظر: نور الدين عتر، علوم القرآن، مطبعة الصباح، دمشق، سوريا، ط1، 1993، ص 50.

مثال ذلك : آية اللِعان فقد أخرج البخاري أنّها نزلت في هلال بن أمية، لما قذف امرأته عند النبيّ (ص): ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ **الصَّادِقِينَ**.. ﴾. النور: 6. فقال له صلى الله عليه وسلم: البيِّنة أو حدّ في ظهرك مرّتين، فأقسم هلال بن أمية والذي بعثك بالحق إنيّ لصادق.

وأخرج الشيخان عن سعد بن سهل أنها (أي آية اللعان) نزلت في عويمر العجلاني وسؤاله النبي عن الرجل يجد مع امرأته رجلا ، فقال (ص): (إنّه قد أنزل فيك وفي صاحبتك القرآن). وظاهر الحديثين الاختلاف- أي الاختلاف في الشخص الذي نزلت فيه- وكلاهما صحيح . وأجاب الإمام النووي بأن أول من وقع له ذلك :هلال وصادف مجيء عويمر أيضا، فنزلت في شأنهما.

6- تعدد النازل والسبب واحد:

أي أن السبب الواحد تنزل فيه آيتان أو أكثر. مثال ذلك: ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة أنها قالت : يا رسول الله، لا أسمعُ اللهَ ذكرَ النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾. آل عمران:195.

وأخرج الحاكم* عنها أيضا أنها قالت: تذكرُ الرجال ولا تذكر النساء، **فأنزلت:** ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾. الأحزاب:35.

وأخرج الحاكم أيضا أنها قالت :تغزو الرجال ولا تغزو النساء ،وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله: ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾. النساء:32.

7- تعدد النازل لتعدد الأسباب: قال الإمام الزركشي*: "وقد ينزل الشيء مرّتين لتعظيم شأنه، وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه"[1].

8- تقدم نزول الآية على الحكم:

ومثال ذلك : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**﴾. الأعلى:14. استُدِلّ بها على زكاة الفطر، والآية مكية وزكاة الفطر في رمضان ولم يكن في مكة عيد ولا زكاة.

---

*- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. من كبار المحدّثين ومن أصحاب الصحاح. اشتهر بكتابه المستدرك على الصحيحين ولد 321هـ.

*- بدر الدين الزركشي أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ المصري، فقيه شافعي، أصولي ومحدث، له مؤلفات في علوم كثيرة. وُلد في القاهرة سنة 745 هـ، وتُوفي سنة 794هـ، أشهر مؤلفاته: البرهان في علوم القرآن.

[1]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص132.

وقوله تعالى : " لا أقسم بهذا البلد وأنت حلٌّ بهذا البلد " البلد02. السورة مكية وقد ظهر أثر الحِل يوم فتح مكة ،حتى قال (ص): أحلت لي ساعة من نهار.

قوله تعالى : ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرْ**﴾. القمر:45. قال عمر بن الخطاب (ض): كنت لا أدري أي الجمع يهزم ،فلما كان يوم بدر سمعت رسول الله (ص) يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر.

ثانيا– السياق المكاني (المكي والمدني)

ترتيب القرآن حسب النزول : المكي والمدني

من المعروف أن ترتيب الآيات والسور في المصاحف لم يعتمد على تاريخ نزولها، وإنما اعتمد على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءته للقرآن، وتعليمه ذلك للصحابة رضي الله عنهم. ولم يعد تأريخ الآيات والسور محفوظا على نحو مفصل، لأن الصحابة لم يعتنوا بهذا الجانب من تأريخ القرآن، وإنما كانت عنايتهم متجهة إلى حفظه على نحو ما يقرؤه لهم النبي (ص). لكن إشارات تأريخية ومعنوية ارتبط بها نزول آيات وسور من القرآن ،ظلت تشير إلى وقت نزولها ومكانه، واعتنى علماء القرآن من الصحابة والتابعين بحفظ تلك الإشارات والبناء عليها، حتى صارت علما من علوم القرآن، يسمى (علم المكي والمدني). وأفرده بالتأليف جماعة من العلماء منهم: مكيّ بن أبي طالب القيسيّ، والعزيز الديريّنيّ[1] .

تعريف المكي والمدني من القرآن: ناقش علماء القرآن تعريف المكي والمدني، واتخذ بعضهم زمان النزول أساسا للتعريف، وجعل تاريخ الهجرة حدا فاصلا، واستند بعضهم إلى مكان النزول في صياغته للتعريف.

أ– التعريف بحسب الزمان : المكي: هو ما نزل قبل الهجرة، والمدني : هو ما نزل بعدها سواء بمكة أم بالمدينة، عام الفتح أو عام حجة الوداع ، في سفر أو في حضر[2].

و روي هذا التعريف عن يحي بن سلام البصري المفسِر (ت 200هـ) حيث قال: "ما نزل بمكة و ما نزل بطريق المدينة قبل أن يبلغ النبي (ص) المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني". وهذا هو التعريف المشهور في كتب علوم القرآن.[3]

ب– التعريف بحسب المكان:

وذكر الزركشي في البرهان: "ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني. وما كان من القرآن (يا أيها الذين آمنوا فهو مدني). وما كان (يا أيها الناس فهو مكي).

---

[1] – ينظر: السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص22.

[2] – ينظر: غانم قدوري الحمد: محاضرات في علوم القرآن، ص 77.

[3] – المرجع نفسه، ص 77.

وذكر أيضا: ما كان من حد أو فريضة ، ف'نه أنزل بالمدينة وما كان من ذكر الأمم والعذاب فإنه أنزل بمكة"[1]

وقد قسم هبة الله بن سلامة المفسِّر البغدادي (ت410هـ) القرآن المكي على قسمين هما: المكي الأول: وهو ما نزل بمكة قبل الهجرة. والمكي الأخير وهو ما نزل بها بعد الفتح.

كيفية معرفة المكي والمدني: لم يحدثنا التاريخ على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر الصحابة رضي الله عنهم بحفظ الآيات والسور على زمن النزول، وإنما تشير الروايات إلى أنه كان يحدد لهم مواضع الآيات من السور وقت التنزيل، وعند كتابتها في الرقاع، ومن ثم كانت جهود الصحابة منصبة على حفظ القرآن مرتبا على نحو ما يرتبه لهم الرسول، ولكن بقي في ذاكراتهم ما لاحظوه من زمان ومكان نزول الكثير من الآيات والسور، ونقل عنهم تلامذتهم – من التابعين–ذلك ، قال القاضي أبو بكر الباقلاني (**ت**.....): (إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي (ص) في ذلك قول، لأنه لم يؤمر به،ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة،وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ 'فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول "[2] . وقد لاحظ العلماء أن معرفة المكي والمدني من سور القرآن يمكن أن يكون عن طريقين:

قال الجعبري: "لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي فالسماعي ما وصل إلينا الخبر بنزوله في أحدهما (مكة أو المدينة)، والقياسي: قال علقمة عن عبد الله: كل سورة فيها يا أيها الناس فقط أو كلاًّ أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين (.....) والرعد في وجه أو فيها قصة آدم وإبليس، سوى الطولى فهي مكية وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مكية"[3]

1– السماعي: فالسماعي ما وصل إلينا الخبر بنزوله في مكة أو المدينة، قبل الهجرة أو بعدها، وكان عدد من الصحابة قد اهتموا بهذا الجانب من تأريخ القرآن ،على نحو ما نقل ابن سعد عن ابن عباس أنه قال : (كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله، وما نزل من القرآن في ذلك ،وكنت لا آتي أحدا منهم إلا سُرَّ بإتياني لقربي من رسول الله (ص) فجعلت أسأل أُبيّ بن كعب يوما وكان من الراسخين في العلم عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال :(نزل بها سبع وعشرون سورة و سائرها بمكة) ابن سعد الطبقات الكبرى،2/371.

[1] – الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 133.

[2] – غانم قدوري الحمد: محاضرات في علوم القرآن، ص78.

[3] – الزركشي (بدر الدين): البرهان في علوم القرآن، ص 133.

2- القياسي: أما القياسي ، فيعتمد على جملة من الضوابط التي استخلصها العلماء من الروايات المنقولة عن عدد من الصحابة والتابعين، في بيان خصائص السور المكية والسور المدنية ، ومن تلك الروايات :

أخرج الحاكم في مستدركه، والبيهقي في الدلائل، والبزاز في مسنده عن علقمة بن عبد الله قال: ما كان (يا أيها الذين آمنوا) أنزل بالمدينة. وما كان يأيها الناس فبمكة. وعن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن (يا أيها الناس أو يا بني آدم فإنه مكي.وما كان يا أيها الذين آمنوا فمدني"[1]

وقد لاحظ بعض العلماء أن " يا أيها الناس" توجد في ما هو مكي، وفيما هو مدني، وأكثرها في المكي. عن عروة بن الزبير قال : (ما كان من حدٍّ أو فريضة أنزلها الله عز وجل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والقرون أنزل بمكة). البيهقي ،دلائل النبوة 144/7.

3- قال المفسر محمد بن أحمد بن جُزّي الغرناطي (ت741هـ) : (واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد، والرد على المشركين ، وفي قصص الأنبياء، وأما السور المدنية، نزل أكثرها في الأحكام الشرعية،وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي (ص) ،وحيث ورد "يا أيها الذين آمنوا "فهو مدني ،وأما "يا أيها الناس" فقد وقع في المكي والمدني). التسهيل لعلوم التنزيل،8/1.

أهمية معرفة السور المكية والسور المدنية:

لهذا البحث التاريخي في تحديد وقت نزول سور القرآن فوائد يذكرها العلماء في مجال الدراسات القرآنية منها:

1- تتوقف معرفة الآيات الناسخة والمنسوخة على معرفة ما نزل أولا، قال النحاس (ت....):

"و إنما نذكر ما نزل بمكة لأن فيه أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ، لأن الآية إذا كانت مكية وكان فيها حكم، وكان في غيرها حكم غيره نزل بالمدينة، عُلِم أن المدنية نسخت المكية." الناسخ والمنسوخ ص 21.

2- ساير نزول القرآن الكريم تاريخ الدعوة، وترتيب السور ترتيبا زمنيا يمكّننا من تصور تأريخ السيرة تصورا أكثر جلاء ووضوحا في ضوء الآيات القرآنية الكريمة، والقرآن من هذه الناحية، يعتبر المرجع الأصيل لدراسة السيرة النبوية.

3- إن تتبع السور المكية والسور المدنية، والنظر في موضوعاتها وأسلوبها، يكشف عن المنهج الذي رسمه القرآن للدعوة في مراحلها المختلفة، فكانت موضوعات السور المكية تتحدث عن قضية العقيدة خاصة، وتعددت صور عرضها في أسلوب قوي مؤثر،لأنه كان يخاطب أناسا غلب عليهم الشرك وفساد العقيدة،

[1] - السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، ص 106

فلما استقرت العقيدة الصحيحة في قلوب الجماعة المؤمنة التي تكونت في المدينة ،عندها أنزل الله تعالى الفرائض والحدود في أسلوب متمهل يناسب مخاطبة القلوب المؤمنة.

تحديد السور المكية والسور المدنية وترتيبها: اختلف العلماء في بيان المكي والمدني على أقوال كثيرة ذكرها السيوطي في: الإتقان[1] .

ومن السور ما اتفق العلماء على مكيتها أو مدنيتها، ومنها ما اختلفوا في كونها مكية أو مدنية. ولعل أقرب الأقوال – في ذلك- إلى الصواب ما ذكره أبو الحسن بن الحصار في كتابه (الناسخ والمنسوخ) قال:" أن المدني باتفاق، عشرون سورة، والمختلف فيه، اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكيّ باتفاق"[2]. وقد نظم ابن الحصار ذلك في منظومة له خلاصة ما تضمنته أن السور المدنية باتفاق العلماء هي :(1- البقرة،2- آل عمران، 3- النساء،4- المائدة،5- الأنفال،6- التوبة،7- النور،8- الأحزاب،9- محمد،10- الفتح،11 الحجرات،12- الحديد،13- المجادلة،14- الحشر،15- الممتحنة،16- الجمعة،17- المنافقون،18- الطلاق،19- التحريم،20- النصر. أما المختلف فيها فهي : (1- الفاتحة،2- الرعد،3- الرحمان،4- الصف،5- التغابن،6-التطفيف،7- القدر،8- لم يكن- البينة-،9- الزلزلة،10- الإخلاص، 11-12- المعوذتان- قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس[3].

أما المكي فهو ما عدا ذلك، وهي اثنتان وثمانون (82) سورة.

مميزات السور المكية والسور المدنية.

امتاز كل من المكي والمدني بسمات بارزة ترجع إلى المعنى والموضوع والخصائص البلاغية.

أ- مميزات السور المكية[4]:

1- الدعوة إلى أصول الإيمان:الإيمان بالله، باليوم الآخر، بالرسالة، لأن القوم كانوا منغمسين في حمأة الشرك، ولا يقرون بالبعث، ويقولون:﴿ **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** ﴾.المؤمنون:37.

2- محاجة المشركين ومجادلتهم، وإقامة الحجة على بطلان معتقداتهم، كعبادة الأصنام، ودعوتهم إلى استعمال عقولهم، وإقامة الأدلة على أن القرآن حق وتحديهم.

---

[1] – السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، ج1 ص 9-14

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص 57.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 57-58.

[4] – ينظر: الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص125 وما بعدها.

3- الدعوة إلى أصول التشريعات العامة والآداب والفضائل الثابتة ك: حفظ الدين،حفظ النفس،حفظ المال،حفظ العقل ،حفظ النسل. وهي الكليات الخمس التي تتفق فيها جميع الشرائع السماوية، وكل ما تعلق بها كالأمر بالصلاة، الصدقة، الصدق، العفاف، بر الوالدين، صلة الرحم...

4- ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم، ليكون في ذلك عبرة وموعظة لأولي الألباب.

5- قصر أكثر آياته وسوره، لنزوله بمكة التي كان أهلها يتباهون بالبلاغة والفصاحة، وتملّكهم ناصية القول في الشعر والخطابة، وبلوغهم الغاية في لطف الحسّ وذكاء العقل وسرعة الخاطر، فكان المناسب لهم النُّذُر القارعة والعبارات الموجزة ذات الجرس القوي،التي تستولي على العقل. قال الوليد بن المغيرة القرشي لما سمع القرآن : (والله لقد سمعت كلاما ما هو بالشعر،ولا بالسحر،ولا بالكهانة،وأن له لحلاوة ،وإنّ عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وما هو بقول بشر، وأنّه لَيعلو، ولا يُعلى).

ب- مميزات المدني[1]:

1- التحدث عن التشريعات التفصيلية والأحكام العملية، والعبادات والمعاملات كأحكام، الصلاة ،الزكاة،الصيام،القصاص،البيوع،الربا،الحدود كحد : الزنا، حد السرقة، الكفارات ككفارة القتل الخطأ،والأيمان إلى غير ذلك،كما هو في سور : البقرة، النساء، المائدة، النور.

2- محاجة أهل الكتاب وبيان ضلالهم في عقائدهم التي حرّفوها.

3- بيان ضلال المنافقين وكشف خبيئة نفوسهم وما هم عليه من سوء الطباع والجبن والهلع، وأنّهم لا يبتغون إلاّ عرض الحياة ،كما هو الشأن في سور :البقرة، التوبة،المنافقون...

4- بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد،وحكمة تشريعه، وذكر الأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات من: صلح، ومعاهدات،وغنائم، وفك الأسرى، كما هو في سور: البقرة، لأنفال التوبة، الفتح، الحشر...

5- طول أكثر آياته وسوره لاشتمالها على الأمور السابقة، التي تقتضي البسط والإطناب وإطالة النفس ،كما أن أهل المدينة لم يكونوا في درجة أهل مكة في البلاغة والفصاحة،لاسيما اليهود الذين كانوا بالمدينة، فكان الحال باعثا على الإطالة والإطناب في مقام ذلك،والإيجاز في مقام الإيجاز ،وقد سلك القرآن الطريقتين كلتيهما، مع كونه في أسمى درجات البلاغة والفصاحة.

[1] - ينظر: المصدر السابق. ن، ص

المحاضرة السابعة

(سياقات النص القرآني– تابع: السياق التراتبي)

أولا– أول وآخر ما نزل

ثانيا– الناسخ والمنسوخ

أولا– أول وآخر ما نزل

أ– أول ما نزل

اختلف العلماء في أول وآخر ما نزل من القرآن، وقد ذكر السيوطي في الإتقان أربعة أقوال في هذا الموضوع[1]:

القول الأول وهو أصحها[2]، أن أول ما نزل هو سورة: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾.العلق:1. إلى قوله سبحانه: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.العلق:5. ودليله حديث عائشة:

حيث جاء في الصحيحين عن بدايات الوحي، عن عَائِشَةَ أُمُّ المؤْمنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ[3]: ك أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالحة فِي النَّوْمِ. فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فيَتَحَنَّثُ فِيهِ، (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ ينزع إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جاءه الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ" قَالَ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.العلق:1-5.

القول الثاني: ﴿يا أيها المدّثّر﴾.المدّثّر:1. وقد ورد في ذلك روايتان:

الأولى: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: "بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الملَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ** ﴾[4].المدّثّرك 1-5.

الثانية: عن يحي بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمان عن أول ما نزل من القرآن، قال: يَا أَيُّهَا المدَّثِّرُ. قلت: يقولون: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**). فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك، وقلتُ له الذي قلتَ، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: جَاوَرْتُ فِي حِرَاءٍ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ، فَاسْتَبْطَنْتُ الوَادِيَ، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، ثم نظرت إلى السماء فَإِذَا هُوَ (يعني جبريل)

---

[1] – ينظر: السيوطي (جلال الدين) الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 158 وما بعدها.

[2] – الزرقاني (عبد العظيم)، مناهل العرفان، ج1، ص64.

[3] – البخاري (محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، ص 7-8.

[4] – المصدر نفسه، ص 8.

جَالِسٌ عَلَى عرش بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فأخذتني رجفة، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فأمرتهم فدَثَّرُونِي فَأُنْزِلَ الله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ** ﴾.المدّثّر:1-2.

ب- آخر ما نزل من القرآن

اختلف العلماء في تعيين آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق، واستند كل منهم إلى آثار ليس فيها حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فكان هذا من دواعي الاشتباه، وكثرة الاختلاف على أقوال شتى، (عدد هذه الأقوال عشرة، نقلها الزرقاني في مناهل العرفان[1].

الأول: أن آخر من نزل قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾. البقرة: 281. أخرجه النسائي عن طريق عكرمة عن ابن عباس، وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها تسع ليال، ثم مات.

الثاني: أن آخر ما نزل هو قوله تعالى في سورة البقرة أيضا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾. البقرة: 278. أخرجه البخاري عن ابن عباس والبيهقي عن ابن عمر.

الثالث: أن آخر ما نزل آية الدين في سورة البقرة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ .. اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.**﴾. البقرة: 282.

أخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب قال:"آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين".

القول العاشر: أن آخر ما نزل هو سورة: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾. النصر01. رواه مسلم عن ابن عباس. لكن أرجع الأقوال هو الأول

ثانيا- الناسخ والمنسوخ

تمهيد: إن معرفة الناسخ والمنسوخ ركن عظيم في فهم الإسلام، والاهتداء الصحيح إلى الأحكام، خصوصا إذا وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها، وناسخها من منسوخها، ولهذا كان سلفنا الصالح يعنون بهذه الناحية، ويلفتون أنظار الناس إليها، حتى لقد جاء في الأثر أن ابن عباس رضي الله عنهما فسر الحكمة في قوله تعالى: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾. البقرة:269.

فسّرها بمعرفة ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه[2]. وورد أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه مر على رجل في مسجد الكوفة وهو يقص فقال: من هذا؟ قالوا: رجل

[1] - الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، ص67-68.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص136.

يحدّث فقال: اسألوه هل يعرف الناسخ من المنسوخ؟ فسألوه فقال: لا. فقال: إن هذا يقول: اعرفوني. اعرفوني. أنا فلان. ثم قال : لا تحدّث. و في رواية قال له: هلكت وأهلكت[1].

تعريف النسخ:

النسخ في لغة العرب على معنيين: **أحدهما** : الرفع والإزالة. يقال: نسخت الشمس الظل إذا رفعت ظل الغداة بطلوعها وخلفه ضوؤها. ومنه قوله تعالى[2]: ﴿ **فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾. الحج:52.

والثاني: تصوير مثل المكتوب في محل آخر. يقولون: نسخت الكتاب ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[3].الجاثية:29.

ويقول السجستاني (من أئمة اللغة) والنسخ أن تحوّل ما في الخلية من النحل والعسل إلى أخرى. ومنه تناسخ المواريث بانتقالها من قوم إلى قوم، وتناسخ الأرواح بانتقالها من بدن للآخر، عند القائلين بذلك.ومنه نسخ الكتاب لما فيه من مشابهة النقل، وإليه الإشارة بقوله تعالى:

﴿**هُذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[4].الجاثية:29. والمراد نقل الأعمال إلى الصحف ،ومن الصحف إلى غيرها[5].

ب– اصطلاحا: "هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي ومعنى رفع الحكم الشرعي قطع تعلقه بأفعال المكلفين، لا رفعه هو، فإنه أمر واقع والواقع لا يرتفع. والحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين إما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير، وإما على سبيل كون الشيء سببا أو شرطا أو مانعا أو صحيحا أو فاسدا.. والدليل الشرعي هو وحي الله مطلقا متلوا أو غير متون فيشمل الكتاب والسنة"[6].

وللتوضيح أكثر فإن الحكم المرفوع يسمى المنسوخ، والدليل الرافع له يسمى الناسخ. ويسمى الرفع النسخ.إذن فعملية النسخ تقتضي (منسوخا وهو الحكم الذي كان مقررا سابقا، وتقتضي ناسخا، وهو الدليل اللاحق).

وهذا يتعلق بالإنسان المكلف العاقل لخطاب الله، والعقل يقضي بعدم تكليف المرء إلا بما يتعقّله، وأن الله تعالى إذا أخذ ما وهب، أسقط ما وجب، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] – ابن الجوزي (العلامة): نواسخ القرآن، تحقيق ودراسة محمد أشرف علي الملباري، ط1، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. 1404هـ–1984.ص106.

[2] – ابن الجوزي (العلامة): نواسخ القرآن،. ص 90.

[3] –. المصدر نفسه، ص 90

[4] – الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص، 136.

[5] – المصدر نفسه، ص ن.

[6] – المصدر نفسه،، ص 136.

" رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ :عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ –وفي رواية: حتى يحتلم– وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يُفِيقَ ".

ما لا بد منه في النسخ[1]:

1- أن يكون المنسوخ حكما شرعيا.

2- أن يكون دليل رفع الحكم دليلا شرعيا.

3- أن يكون هذا الدليل الرافع متراخيا عن دليل الحكم الأول.

4- أن يكون بين هذين الدليلين تعارض حقيقي.

هذه هي شروط أربعة لتحقق النسخ باتفاق جمهور الباحثين، وثمة شروط اختلفوا في شرطيتها منها: أن يكون ناسخ القرآن قرآنا، وناسخ السنة سنة. ومنها: كون الناسخ مقابلا للمنسوخ مقابلة الأمر للنهي والمضيق للموسع. ومنها: كون الناسخ والمنسوخ نصين قاطعين[2].

أدلة ثبوت النسخ: اتفق العلماء على جواز النسخ عقلا وشرعا، وعلى أنه واقع في القرآن والسنة، ولقد استدلوا على وجوده بأدلة عقلية، وأدلة شرعية.

أ– أدلة ثبوت النسخ عقلا

يقول أهل السنة إنه لا يجب على الله تعالى لعباده شيء، بل هو سبحانه الفاعل المختار والكبير المتعال، و له بناء على مشيئته، وكبريائه وعظمته، أن يأمر عباده بما يشاء، أو ينهاهم عما يشاء، وأن يبقي من أحكامه ما يشاء، وأن ينسخ منها ما شاء، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ولا ملزم يلزمه برعاية مصالح عباده. ولكن ليس معنى هذا أنه عابث مستبد أو ظالم، بل إن أحكامه وأفعاله كلها – جل جلاله–لا تخلو من حكمة بالغة، وعلم واسع، وتنزه عن البغي والظلم[3]؛ ﴿ ...**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾.فصلت:46. ﴿... **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾.الكهف: 49. ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾.يوسف:6. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾.القرة:143

رأي المعتزلة: النسخ مبني على أن الله تعالى يعلم مصلحة عباده في نوع من أفعالهم في وقت ما، فيأمرهم بها في ذلك الوقت، ويعلم ضرر عباده في هذا النوع نفسه من أفعالهم في وقت آخر، فينهاهم عنها في ذلك الوقت[4].

والمعلم يتدرج مع التلاميذ البادئين بأسهل المعلومات، ثم من الأسهل إلى السهل ومن السهل إلى الصعب، ومن الصعب إلى الأصعب. كذلك الأمم تتطور فمن الحكمة في سياستها وهدايتها أن تصاغ

---

[1] – المصدر السابق، ص378.

[2] – المصدر نفسه، ص 379.

[3] – المصدر نفسه، ص383.

[4] – ينظر: المصدر نفسه، ص 383.

لها التشريعات بما يناسب حالها في الطور الذي تكون فيه، حتى إذا انتقلت إلى طور آخر لا يناسبه التشريع الأول، حق أن يصاغ لها تشريع آخر. مثال ذلك نسخ الشرائع السابقة[1].

ب- أدلة ثبوت النسخ شرعا

قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.البقرة:106. وقوله:﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾.الرعد:39. ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾.النحل:101.فهذه الآيات تدل على ثبوت النسخ عقلا وشرعا وأنها نزلت ردا على الطاعنين في هذا الأمر.

الحكمة من وجود النسخ: للنسخ حكم تشريعية بليغة وكثيرة منها:

1- مراعاة مصالح العباد: حيث ينسخ الحكم الذي لا يصلح للاستمرار ويبدل بآخر صالح للاستمرار على تبدل العصور والأيام.

2- تطور التشريع إلى مرحلة الكمال: وذلك حسب تطور الدعوة وحال الناس وما يعلم الله من تحملهم في كل مرحلة من مراحل حياتهم.

3- الابتلاء: وذلك ليظهر من يتمثل أمر الله ممن لا يفعل ذلك.

4- إرادة الخير للأمة والتيسير لها، لأن النسخ إذا كان من حكم أسهل إلى آخر أصعب فيه زيادة ثواب من الله تعالى. وإن كان من أصعب إلى حكم أخف ففيه يسر للأمة.

أنواع النسخ في القرآن: النسخ الواقع في القرآن ثلاثة أنواع:

1- نسخ الحكم والتلاوة معا: يدل على ذلك ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرّمن، ثم نسخ بخمس معلومات، وتوفي الرسول وهن فيما يقرأ من القرآن. رواه مسلم وأبو داوود والترمذي[2]. قولها: وهن فيما يقرأ من القرآن، يعني ظاهرة بقاء التلاوة، والظاهر الآن أن التلاوة نسخت كما نسخ الحكم. فإن هذا غير موجود في المصحف).

مثال ثاني: روى هبة الله البغدادي عن أنس بن مالك أنه قال (كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة تعدلها سورة التوبة ما أحفظ منها إلا آية واحدة وهي: "لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثا، ولو أنه له ثالثا لابتغى إليهما رابعا، فلا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب".

---

[1] - ينظر: المصدر السابق، ن، ص.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص397-398.

2- نسخ الحكم وبقاء التلاوة ويدل على بقائه آيات كثيرة منها: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾.البقرة:184 فهي منسوخة بقوله تعال: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ۖ ﴾. البقرة185.

وقوله تعالى

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** "﴾.المجادلة:12. فهي منسوخة بقوله تعالى: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ المجادلة13.على معنى أن حكم الآية الأولى منسوخ بحكم الآية الثانية، مع أن تلاوة كلتيهما باقية[1].

3- ما نسخت تلاوته وبقي حكمه: ومثاله:ما روي عن عمر بن الخطاب وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهما أنهما قالا: **كان فيما أنزل من القرآن: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة** ". وأنت تعلم أن هذه الآية لم يعد لها وجود بين دفتي المصحف ولا على السنة القراء، مع أن حكمها باق لم ينسخ[2].

أقسام النسخ: النسخ في الشريعة قد يرد به القرآن، وقد ترد به السنة، وكذلك المنسوخ، قد يرد به القرآن وقد ترد به السنة. وهو على أربع أقسام:

1- نسخ القرآن بالقرآن: وقد أجمع القائلون بالنسخ من المسلمين على جوازه ووقوعه[3]، ومثاله قوله تعالى:

﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.البقرة:240. دلت هذه الآية على أن المرأة المتوفى عنها زوجها تمكث في العدّة حولا كاملا. ثم نسخت بقوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ۖ ﴾.البقرة:234.

2- نسخ القرآن بالسنة: وقد اختلف العلماء في هذا القسم بين مجوز ومانع.

---

[1] - ينظر: الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص398.

[2] - المصدر نفسه، ن، ص

[3] - المصدر نفسه، ص410.

أ– من الذين أجازوه: مالك وأصحاب أبي حنيفة وجمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة وحجتهم أن السنة وحي وكذلك القرآن لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾. **النجم:3–4**.

وما دام أن الله هو الذي ينسخ وحيه بوحيه فلا مانع عقلا أو شرعا يمنعه من ذلك[1].

ب– من الذين منعوه الشافعي وأحمد، وحجتهم أن السنة جاءت بيانا للقرآن ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾.النحل:44. و هذا يفيد أن وظيفة الرسول منحصرة في بيان القرآن، والسنة إن نسخت القرآن، لم تكن حينئذ بيانا له، بل رافعة إياه. ودليلهم الثاني: أن القرآن هو الذي أثبت حجية السنة :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** ۖ ﴾.النساء: 59. ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ۚ ﴾[2].الحشر:07.

لذا فلو نسخت السنة القرآن، لعادت على نفسها بالإبطال.لأن النسخ رفع، وإذا ارتفع الأصل ارتفع الفرع.

3– نسخ السنة بالقرآن: وفيه خلاف العلماء أيضا بيت تجويز ومنع، غير أن صوت المانعين هنا ضعيف.وصوت المجيزين قوي[3] وهم جمهور العلماء، ومثاله التوجه إلى القبلة نحو بيت المقدس فقد ثبت ذلك بالسنة، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿ **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ۚ **وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ۗ ﴾.البقرة:144.

4– نسخ السنة بالسنة: ويتنوع إلى أنواع أربعة.

أ– نسخ سنة متواترة بسنة متواترة.

ب– نسخ سنة أحادية بأحادية.

ج– نسخ سنة أحادية بمتواترة .

د – نسخ سنة متواترة بأحادية.

فلأنواع الثلاثة الأولى جائزة عقلا ونقلا، أما النوع الرابع فاتفق العلماء على جوازه عقلا ثم اختلفوا في جوازه شرعا. فنفاه الجمهور وأثبته أهل الظاهر[4]. وتفاصيل ذلك في كتب أصول الفقه.

وبعد، فإن هذا العلم واسع ومعقد أكثر فيه العلماء الحديث في تحديد الآيات المنسوخة ومنهم: أبو جعفر النحاس في: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة وأبو عبد الله بن مخزم وغيرهم.

---

[1] – ينظر: المصدر السابق، ن، ص.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص410–411.

[3] – المصدر نفسه، ص414.

[4] – المصدر نفسه، ص416.

المحاضرة الثامنة (سياقات النص القرآني-

تابع)

ثالثا- السياق التداولي

أولا- (القراءات القرآنية)

1- مفهومها

2- أنواعها

3- الحكمة منها.

ثانيا- الأحرف السبعة وتعدد القراءات

1- معنى الأحرف السبعة

2- المراد بالأحرف السبعة:

3- تعريف القراءات القرآنية

4- القراءات العشر

أولا– القراءات القرآنية

القراءات القرآنية من أهم علوم القرآن، صرف إليها العلماء كثيرا من عنايتهم وجهدهم من عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى عصرنا هذا، رواية وتعليقا وتأليفا، وموضوع القراءات شديد الصلة بنص القرآن الكريم، لأنه يُعنى بكيفية النطق بألفاظ القرآن، وتحقيق الروايات المنقولة في ذلك عن أئمة القراءة[1].

تعريف القراءات القرآنية

القراءات جمع قراءة وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ. وفي الاصطلاح هي: "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القُرَّاء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيآتها"[2]

وفي منجد المقرئين لابن الجزري ما نصه: " القراءات علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بمعزو الناقلة"[3] .

وقوله: كلمات القرآن: أي كلمة كلمة من أول القرآن إلى آخره. وقوله: بعزو الناقلة: أي أن هذا العلم ثابت بالنقل الثابت المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا مصدر له سوى النقل والتلقين الشفاهي.
والمقرئ: العالم بالقراءات، الذي رواها مشافهة بالتلقي عن أهلها إلى أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم[4].

نلاحظ في التعريف الأخير اعتماد القراءات القرآنية على السماع والمشافهة، والتلقي عمن تلقاها وسمعها وأخذها مشافهة عن شيوخه مسلسلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

أنواع القراءات حسب أسانيدها[5]:

لقد قسم العلماء القراءات حسب أسانيدها إلى ستة أقسام، وبينوا حكم كل نوع ودرجته من حيث القبول والرد، وهذه الأقسام هي:

الأول: المتواتر: وهو ما نقله جمع غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهى السند، وهذا النوع هو غالب القراءات.

الثاني: المشهور: وهو ما صح سنده واستوفى شروط القراءة الصحيحة واشتهر عند القراء فلم يعدّوه من الغلط ولا من الشذوذ، وهذا تصح القراءة به، ولا يجوز ردّه، ولا يحل إنكاره.

---

[1] – غانم قدوري الحمد: محاضرات في علوم القرآن، ص105.

[2] – الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، ص241.

[3] – ابن الجزري، منجد المقرئين، ومنجد الطالبين، ص3. نقلا عن: نور الدين عتر: علوم القرآن الكريم، ص 146.

[4] – نور الدين عتر: علوم القرآن الكريم، ص 146.

[5] – المرجع نفسه، ص 148–149.

الثالث: الآحاد: وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، وهذا لا تجوز القراءة به.

الرابع: الشاذ: وهو ما لم يصح سنده ولو وافق رسم المصحف والعربية مثل قراءة (مَلَكَ يومَ الدين)، بصيغة الماضي في مَلَكَ ونصب يَوْمَ مفعولا.

الخامس: الموضوع: وهو المختلق المكذوب.

السادس: ما يشبه المدرج من أنواع الحديث، وهو ما زيد في القراءة على وجه التفسير كما نقل عن ابن عباس أنه قرأ (**وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صالحة غَصْبًا**). الكهف: 79. فكلمة صالحة ليست قرآنا، إنما هي تفسير.

وهذه الأنواع الثلاثة الأخيرة لا تحل القراءة بها.

القراءات المتواترة وقراؤها[1]:

تلقى الصحابة القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقرأت كل قبيلة القرآن كما تعلموه منه. ثم خرجت كل قبيل في الفتوحات في كتيبة أو كتائب مجتمعة إلى بعضها، واستقرت في البلاد تقرأ قراءتها، ويتلقاها الأبناء عن الآباء فكان لكل بلد أو قطر قراءته المتواترة جيلا عن جيل.

وكان من الطبيعي أن يشتهر في كل عصر جماعة من القراء في كل طبقة من طبقات الأمة، يتفوقون في حفظ القرآن وإتقانه وضبط أدائه، والتفرغ لتعليمه، من عصر الصحابة ثم التابعين، وأتباعهم، وهكذا، وكان من القراء من بلغ الذروة في الإتقان والضبط، كما كان ثمة قراء دونهم، وآخرون ليسوا من أهل الإتقان، فقام العلماء بتمحيص هذه القراءات ودراسة أحوالها، وبينوا للناس المتواتر منها.

واعتبارا من عصر التابعين انتشرت القراءات كثيرا فشعرت طائفة من أهل العلم بضرورة الاحتياط للقرآن وقراءته، فنهض كل إمام بضبط القراءة عن الأئمة المقرئين وهكذا في العصور التالية، ثم أودعت تلك القراءات في مؤلفات خاصة، كما فعله أو عبيدة ثم الطبري ثم من جاء بعده...

ثم جاء الإمام أحمد بن موسى بن العباس المشهور بابن مجاهد المتوفى سنة 324هـ، فأفرد القراءات السبع المعروفة فدونها في كتابه (القراءات السبع) فاحتلت مكانتها في التدوين وأصبح علمها مفردا يقصدها طلاب القراءات.

وقد بنى اختياره هذا على شروط عالية جدا، فلم يأخذ إلا عن الإمام الذي اشتهر بالضبط والأمانة وطول العمر في ملازمة الإقراء، مع الاتفاق على الأخذ منه، والتلقي عنه، فكان له من ذلك قراءات هؤلاء السبع وهم[2]:

---

[1] – نور الدين عتر: علوم القرآن الكريم، ص 149–150.

[2] – المرجع السابق، ص 150.

1- عبد الله بن كثير الداري المكي المتوفى سنة 120هـ.

2-عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي المتوفى سنة 118هـ.

3-عاصم بن أبي النُّجُود الأسدي الكوفي المتوفى سنة 127هـ.

4-أبو عمرو بن العلاء البصري المتوفى سنة 154هـ.

5- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي المتوفى سنة156هـ.

6-نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم المدني المتوفى سنة 169هـ.

7- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي المتوفى 189هـ.

وقد تابع العلماء البحث لتحديد القراءات المتواترة، حتى استقر الاعتماد العلمي واشتهر على زيادة ثلاث قراءات أخرى، أضيفت إلى السبع، فأصبح مجموع القراءات المتواترة عشرا. وهذه القراءات التي زيدت هي قراءات هؤلاء الأئمة:

1-أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني المتوفى سنة 130هـ.

2-يعقوب بن إسحاق الحضرمي المتوفى سنة 205هـ.

3-خلف بن هشام المتوفى سنة 229هـ.

ثانيا- الأحرف السبعة

الحديث عن أصل القراءات يستدعي بحث قضيتين، الأولى تحديد مصدر القراءات، والثانية . تحديد السبب الذي أدى إلى ظهور القراءات.

نزل القرآن بلغة قريش في الراجح وكان كتبة الوحي يكتبون على نحو ما يسمعون عن رسول الله، لهذا فإن عثمان رضي الله عنه أمر الجماعة الذين نسخوا المصاحف على أن يكتبوه بلسان قريش.

ولا شك أن أهل مكة قرؤوا القرآن كما قرأه عليهم صلى الله عليه وسلم، لأنهم قومه وعشيرته، أما غيرهم من العرب فكانوا متفاوتين في القدرة على تحقيق تلك القراءة بحسب قرب أو بعد لغاتهم (أي لهجاتهم) من لغة أهل مكة. ومن ثم ظهرت مشكلة أهل مكة، وقد أشار بعض العلماء إلى أن تلك المشكلة ظهرت بصورة واضحة بعد الهجرة، حين دخل في الإسلام أفراد من قبائل عربية متباينة النطق[1].

أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف

وأمام ذلك الوضع المعقد لم يحمل الرسول الناس على تعلم لغة قريش، ولم يمنعهم من قراءة القرآن، وإنما رخص لهم قراءته بالنطق الذي يمكنهم تحقيقه، قال عبد الله ابن عباس (ت 68هـ): "إن النبي (ص) كان يُقرئ الناس بلغة واحدة، فاشتد ذلك عليهم، فنزل جبريل فقال:**يا محمد أقرئ كل**

[1] - ينظر: ابن حجر ، فتح الباري، 28/9. وعبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص 68.

قوم بلغتهم"[1]. روى الترمذي في سننه عن أبي بن كعب أنه قال: لقي رسول الله (ص) جبريل، **فقال يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير، والغلام والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف**"[2]. وقد تواتر في أحاديث كثيرة أن النبي قال: "**إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأيُّ ذلك قرأتم أصبتم**"[3]. فكانت الأحرف السبعة حلا لمشكلة واجهت الصحابة في عصر النبوة حيث يسرت عليهم قراءة القرآن.

معنى الأحرف السبعة

لم تكن تلك الأحرف تتجاوز تنوع صور النطق إلى اختلاف المعاني، على نحو ما نقل (ابن شهاب الزهري ت124هـ) عن الصحابة عن الصحابة، فقد قال: قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه: "قال ابن شهاب بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي الأمر الذي يكون واحدا، لا يختلف في حلال ولا في حرام"[4]. ولم يرد في روايات هذا الحديث ما يحدد المراد بالأحرف السبعة، ولم ينقل عن الصحابة ما يوضح ذلك أيضا، ومن ثم فإن العلماء اجتهدوا في تفسيرها بعد اتفاق جمهورهم على أنها تخص النطق والقراءة، لا اختلاف المعاني والأحكام.

المراد بالأحرف السبعة

تعددت آ راء العلماء في المراد من الأحرف السبعة المذكورة في الحديث نذكر منها:

القول الأول :إنها سبع لغات من لغات العرب، واختلف في تحديد اللغات السبع، فقيل هي: لغة قريش وهديل وتميم والأزد وربيعة وهوازن، وسعد بن بكر ، وقيل: قريش وهذيل وثقيف، وهوازن وكنانة وتميم واليمن.

القول الثاني: أنها سبعة أوجه من الأمر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل. أو من الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال.

القول الثالث: أن العدد المذكور في الحديث لا مفهوم له إنما أريد به الكثرة.

القول الرابع: أنها سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها: وهذه الأوجه هي[5]:

1-اختلاف الحركات دون تغير المعنى والصورة مثل: يحسَبه ويحسِبه بالكسر والفتح في قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً...**)**النور 39. قرئ بالفتح والكسر.**

---

[1] – ينظر أبو شامة، المرشد الوجيز ص95. نقلا عن: غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، ص 108.

[2] – الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص93.

[3] – المصدر نفسه، ص ن

[4] – صحيح مسلم بشرح النووي، 101/6، وينظر سنن أبي داوود 76/2.

[5] – ينظر: الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص102.

2- أن يكون بتغيير في المعنى دون تغيير في الصورة مثل: (**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**). و قرئ: (**فَتَلَقَّىٰ آدَمَ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ...**).البقرة: 37.

3- أن يكون التغيير في الحروف مع التغير في المعنى لا الصورة مثل: (تَبْلُو وتَتْلُو) في قوله تعالى: (**هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ** ...) يونس: 30. **وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة وبعض أهل الحجاز:(تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) ، بالتاء.**

4- أن يكون التغير في الحرف مع التغير في الصورة لا في المعنى مثل: (السراط) و (الصراط). فإن معنى الكلمتين واحد، وقد قرأ قنبل عن ابن كثير، ورويس عن يعقوب كلمة الصراط بالسين، كما قال ابن الجزري في النشر .وأصل كلمة السراط بالسين، ومعناها الطريق، وقرأ الجمهور بالصاد ليطابق الطاء في الإطباق. كذا قال البيضاوي في تفسيره. وقال ابن خالويه في الحجة في القراءات السبع: فالحجة لمن قرأ بالسين أنه جاء به على أصل الكلمة، والحجة لمن قرأ بالصاد أنه أبدلها من السين لتؤاخي السين في الهمس والصفير وتؤاخي الطاء في الإطباق لأن السين مهموسة والطاء مجهورة. والله أعلم.

5-أن يكون التغير في الحروف والصورة نحو: يأتل و يتأل. في قوله تعالى: (**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي**...).النور:22. **قُرئَ** (..**وَلا يَتألّ**...)

6-أن يكون التغيير بالتقديم والتأخير نحو وقاَتلوا وقُتِلوا في قوله تعالى: (**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ**..)آل **عمران: 195. وقرأ حمزة والكسائي (وقتلوا وقاتلوا...)**

7- أن يكون التغيير بالزيادة والنقصان نحو(ووصى وأوصى).كقوله تعالى:(**وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) البقرة:132**. حيث قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر: (وأوصى...) وقرأ الباقون: (ووصّى...) .

فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها.

الحكمة من القراءات القرآنية وتعدد الحروف

1- التيسير على الأمة العربية التي كانت قبائل كثيرة كان بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات، وطريقة الأداء. قال ابن الجزري: "وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة للقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق"[1].

[1] - الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص94.

2- جمع الأمة الإسلامية على لسان واحد يوحد بينها، وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، والذي انتظم كثيرا من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تفد إلى مكة في موسم الحج وأسواق العرب المشهورة، فكان القرشيون يستملحون ما شاءوا ويصطفون ما راق لهم من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل صوب ثم يصقلونه ويهذبونه ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة الذي أذعن جميع العرب لها بالزعامة[1]. وعلى هذه السياسة الرشيدة نزل القرآن على سبعة أحرف يصطفي ما شاء من لغات القبائل العربية.

3-إن تنوع القراءات من البراهين الساطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن هذه الاختلافات في القراءات على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض أو تضاد في المقروء ، بل القرآن كله على تنوع قراءته يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم. وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف[2].

[1] – المصدر السابق، ص95.

[2] – المصدر نفسه، ص 96.

المحاضرة التاسعة

مناهج التفسير ونقدها

أولا– معنى التفسير والتأويل والشرح

ثانيا– شروط المفسر (العلمية والذاتية)

ثالثا– تاريخ التفسير في عهد الصحابة والتابعين وعصر التدوين

علم التفسير أحد العلوم الشرعية الأساسية المتعلقة بالقرآن الكريم، يهدف إلى تحصيل القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة من كلام الحق سبحانه وتعالى، إضافة إلى تذكير المخلوق بحق الخالق، وتنبيه العابد للاستعداد إلى يوم المعاد، وتحذير الإنسان من مكائد الهوى والشيطان ، وغير ذلك مما يحصله المؤمن من نتيجة معرفته بتفسير كلام الله، واطلاعه على أسراره وخفاياه.

أولا– معنى التفسير

أ– لغة: في لسان العرب: الفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد من اللفظ المشكل[1]، وفي مناهل العرفان "التفسير: الإيضاح والتبيين ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾. الفرقان:33. والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[2].

وفي مباحث في علوم القرآن لمناع القطان "التفسير في اللغة تفعيل من الفسر بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى المعقول. وفعله كضرب نصر ، يقال فسر الشيء يفسر بالكسر، ويفسره بالضم فسرا، وفسره أبانه، والتفسير والفسر: الإبانة وكشف المغطى[3]. وقال بعضهم هو مقلوب من سفر ، ومعناه أيضا الكشف، يقال سفرت المرأة سفورا إذا كشفت وجهها، وأسفر الصبح أي أضاء ، وإنما بنوه على التفعيل لأنه للتكثير[4] كقوله تعالى: ﴿"**يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**"﴾. البقرة: 49. **وقوله: "وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ**"﴾. يوسف: 23.

ب–اصطلاحا: عرفه أبو حيان بأنه: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك"[5].

ثم خرّج التعريف فقال: فقولنا علم، هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، هو علم القراءات. وقولنا: ومدلولاتها، أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع. وقولنا : ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة وما دلالته عليه المجاز. فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا، ويصدّ عن الحمل على

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة فسر.

[2] – الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، ص277.

[3] – مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 316.

[4] –المرجع نفسه، ص 316.

[5] – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج1، ص121. نقلا عن: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص317

الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يعمل على غير الظاهر، وهو المجاز. وقولنا: وتتمات ذلك، هو معرفة النسخ وسبب النزول،وقصة توضيح بعض ما أنبأهم في القرآن ونحو ذلك[1].

وقال الزركشي:وفي الاصطلاح "هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها "[2].

والغرض من التفسير هو معرفة معاني النظم. وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة. وموضوعه هو كلام الله سبحانه الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.وغايته التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه للفوز به إلى السعادة الدنيوية والأخروية.

ثانيا: معنى التأويل

التأويل مرادف للتفسير في أشهر معانيه اللغوية. قال صاحب القاموس:" أول الكلام تأويلا وتأوله: دبّره وقدّره وفسّره ومنه قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**"﴾. آل عمران: 07. وكذلك جاءت آيات كثيرة فيها لفظ التأويل، ومعناه في جميعها البيان والكشف والإيضاح[3]. أما التأويل في الاصطلاح فإنه يختلف معناه، فبعضهم يرى أنه مرادف للتفسير، وبعضهم يرى أن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط، ويجعل التفسير أعم. وبعضهم يرى أن التفسير مباين للتأويل فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا. والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع.[4]

بين التفسير والتأويل:قال قوم إنهما بمعنى واحد، وقال آخرون التفسير أعم من التأويل لأنه يستعمل فيا الكتب الإلهية وغيرها. وأما التأويل فأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية.تقول فسرت الكلمة الواردة في بيت الشعر ولا تقول أولت ذلك.

وقالوا أكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والمفردات، أما التأويل فأكثر ما يستعمل في المعاني والجمل.[5]

وقد أورد السيوطي في (الإتقان) نقولا كثيرة عن العلماء في التفريق بينهما[6].

ثانيا– شروط المفسر العلمية والذاتية

---

[1] – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج1، ص121 . نقلا عن: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص317.

[2] – الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 416.

[3] – الزرقاني، مناهل العرفان، ص278.

[4] – المصدر نفسه، ص278.

[5] – محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص189.

[6] – السيوطي^) (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص173.

أ- الشروط التي يشترطها العلماء في المفسر[1]

1- شروط علمية: تتمثل في إتقان المفسر قدرا جيدا من العلوم المذكورة سابقا.

2-شروط عقلية: وهي أن يكون المفسر موهوبا ذا قدرات عقلية ممتازة، قوي الاستدلال حسن الاستنباط قادرا على الترجيح إن تعارضت الأدلة.

3-شروط دينية وخلقة: وهي أن يكون صحيح العقيدة، مؤديا للواجبات الدينية ملتزما الآداب والأخلاق الإسلامية التي دعا إليها الإسلام وأن يكون محررا من سلطان الهوى شديد الخشية لله.

ب- العلوم التي يحتاج إليها المفسر[2]:

1-اللغة والاشتقاق:لأننا باللغة نعرف معاني المفردات، وفهم حقائق الألفاظ المفردة يكون باستقصاء المعاني التي دلت عليها هذه الكلمة في آيات القرآن.

2- النحو والصرف: لأن فهم المعنى يتوقف في أحيان كثيرة على معرفة الإعراب.

3- الأدب وعلوم البلاغة: لأن مراعاة ما يقتضيه الإعجاز أمر لازم في التفسير، فلا بد من الإشارة إلى نواحي الجمال الفني في الآية وتحليلها.

4- علوم القرآن التي هي من أهم الأدوات التي لابد منها لعملية التفسير.فمعرفة أسباب النزول تساعد على فهم الآيات الفهم الصحيح، ومعرفة المكي والمدني تعين على إدراك معاني الآيات، ومعرفة الناسخ لها أهمية كبيرة في تفسير الآيات التي تقرر حكمين مختلفين في موضوع واحد.

5-علم أصول الدين والتوحيد وذلك لأن هذا الكتاب الكريم يتضمن نظرة جديدة إلى الكون والحياة والإنسان متمثلة في العقيدة الإسلامية، فإدراك أصول هذه العقيدة يساعد في شرح الآيات المتعلقة بذلك.

6- علم أصول الفقه: بواسطة هذا العلم يستطيع المفسر استنباط الأحكام من النص، ووجه الاستدلال على الأحكام.

7-الحديث النبوي والفقه والسيرة، فالحديث فيه تفسير لعدة آيات، وفيه بيان للغامض وتفصيل للمجمل وحصر للمتفرق. وأما الفقه فيعرض الأحكام الإسلامية التي ذكرها القرآن مبوبة مجموعة، فيساعد استحضارها على تصور دقيق لمعاني آيات الأحكام.وأما السيرة ففيها تجلية لكثير من الآيات.

8- علوم أخرى:كالعلوم الاجتماعية والعقلية والكونية وما يتصل بالثقافة العامة والتاريخ والجغرافية والاجتماع والفلك وعلم النفس...كل هذه العلوم تساعد على تفسير القرآن تفسيرا يتصل بحياة الناس.

ج- قواعد أصول التفسير

من أهم الأصول التي يجب مراعاتها أن تكون خطوات التفسير مندرجة كما يلي:

---

[1] - محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص194-195.

[2] -- محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص192-194.

1-تفسير القرآن بالقرآن: لأننا نجد ما أجمل في موضع قد فصل في موضع آخر.

2- تفسير القرآن بالسنة لأنها الشارحة للقرآن الموضحة له.

3-تفسير القرآن بما قاله الصحابة لأنهم شاهدوا من القرائن والأحوال التي صاحبت نزول القرآن ما يجعل فهمهم أدق وأتم.

ثالثا – تاريخ التفسير في عهد الصحابة والتابعين وعصر التدوين

أ– في عهد الصحابة

نشأة التفسير بدأت من عهد النبوة، قد كان صلى الله عليه هو المفسر الأول للقرآن، فكان هو أعلم الناس بعاني كتاب الله وإدراك أسراره ومعرفة مقاصده. بل الله هو الذي وجه إليه هذا الكلام: حيث قال: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾. النحل: 44.

يقول ابن خلدون في مقدمته: "فكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه، فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه، كما عُلِمَ من قوله تعالى﴿ **ذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾. النصر:1 أنها نعي للنبي صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك، ونُقِل ذلك عن الصحابة–رضوان الله تعالى عليهم أجمعين–وتداول ذلك التابعون من بعدهم"[1].

وكان الصحابة يرجعون إليه في كل ما أشكل عليهم عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾.الأنعام:82. شق على الناس ذلك، وقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ فقال: إنه ليس الذي تعنون. ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾. لقمان: 13. وهو هنا تفسير للقرآن بالقرآن.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (الكوثر نهر أعطانيه ربي في الجنة) وهو هنا تفسير للقرآن (إنا أعطيناك الكوثر) بالسنة. وكان الصحابة بعده إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله وسنة رسوله يجتهدون في الفهم.

ب– في عهد التابعين

التابعون هم الذين ورثوا عن الصحابة رضوان الله عليهم. ولا شك أن عصر التابعين هو خير العصور بعد الصحابة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[2].

تلقى التابعون عن الصحابة فنشأت طبقات من المفسرين، طبقة في مكة وأخرى في المدينة وثالثة في العراق. قال ابن تيمية: "وأما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد

---

[1] –ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد): المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 421.،

[2] – رواه البخاري، ج3، ص 5. نقلا عن: فضل حسن عباس: محاضرات في علوم القرآن، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص279.

وعطاء ابن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس وابن الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد ابن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأحذ عنه أيضا ابنه عبد الرحمان وعبد الله بن وهب"[1].

التابعين أخذ تابعو التابعين فجمعوا أقوال من تقدمهم وصنعوا التفاسير كما فعل سفيان بن عيينة ووكيع بن الجرح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هارون، فكانوا إرهاصا لابن جرير الطبري الذي يوشك المفسرون جميعا بعده أن يكونوا عالة عليه"[2].

ج- في عصر التدوين

لا يحدد الباحثون في هذا المجال أول من دون التفسير، ,إن كان بعضهم يذكر أن سعيدا ابن جبير ومجاهدا في القرن الأول الهجري، قد دوّن كل واحد منهما تفسيرا للقرآن. لكن هذه الرواية فيها شك لأن سعيد بن جبير كان يخشى أن يدون شيئا في التفسير، فقد ذكر ابن خلّكان في ترجمته أنه سُئل أن يدون شيئا في التفسير، فقال إن قطع لسانه أهون عليه من ذلك.[3]

ولكن القرن الثاني كان ميدانا للتدوين والتأليف، فقد شغل القرآن علماء هذا العصر، واتجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهات متباينة فكان ما يسمى:

1- التفسير بالمأثور الذي هو امتداد للتفاسير السابقة المسندة إلى الصحابة والتابعين وتابعيهم.

2- وكان ما يسمى التفسير بالرأي وفيه تعددت المناهج وتضاربت الأفكار فحُمِدَ بعضه وذم بعضه تبعا لقربه من هداية القرآن أو بعده عنها.

واشتهر بالتفسير بالمأثور في القرن الثالث ابن جرير الطبري (224-310هـ في تفسيره (جامع البيان في تفسير القرآن) ومن خصائصه انه عرض فيه لأقوال الصحابة والتابعين مع تحرير أسانيدها، وترجيح بعضها عن بعض، واستنباط الكثير من الأحكام، وذكر بعض وجوه الإعراب التي تزيد المعنى وضحا غير أنه اعتمادا منه على معرفة الناس حال الأسانيد كان أحيانا يغفل بعضها ويذكر منها غير الصحيح دون أن ينبه عليه[4].

وفي القرن الرابع اشتهر النيسابوري وأبو الحسن الأشعري وعلي بن عيسى الرماني النحوي وأبو هلال العسكري وابن حبان وغيرهم.

وفي القرن الخامس عُرف الشيخ الفقيه (أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي) صاحب كتاب (البيان الجامع لكل علوم القرآن، ثم (الشريف الرضي الموسوي) صاحب كتاب (حقائق التنزيل ودقائق التأويل).

---

[1] – ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير. نقلا عن: فضل حسن عباس: محاضرات في علوم القرآن، ص282.

[2] – نقلا عن: صابر حسين محمد أبو سليمان، مورد الظمآن في علوم القرآن، ص201.

[3] –ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص 256. نقلا عن: فضل حسن عباس: محاضرات في علوم القرآن، ص289.

[4] – صابر حسين محمد أبو سليمان، مورد الظمآن في علوم القرآن، ص 201-202.

وفي القرن السادس اشتهر جار الله الزمخشري صاحب تفسير (الكشّاف) الذي لم يؤلف في بابه مثله جودة وإتقانا[1].

وفي القرن السابع اشتهر (البيضاوي)صاحب التفسير المشهور ب (أنوار التنزيل).

وفي القرن الثامن يشتهر تفسير ابن كثير (إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي 701- 774هـ: تفسير القرآن العظيم) ومن مزاياه الدقة في الإسناد، وبساطة العبارة ووصوح الفكرة. وتبعا لهذا المنهج ألف السيوطي (849-911هـ كتابه القيم: الدر المنثور في التفيسير بالمأثور) الذي اعتمد فيه على الأخبار الصحيحة المأثورة.

[1] – ينظر: فضل حسن عباس: محاضرات في علوم القرآن، ص289.

المحاضرة العاشرة

(التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي)

أولا– التفسير بالمأثور

تعريفه

خصائصه

أعلامه

نقده

ثانيا– التفسير بالرأي

تعريفه

أعلامه

نقده

أولا– التفسير بالمأثور

تعريفه: التفسير بالمأثور هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه[1]، أو هو الذي يعتمد على صحيح المنقول بالمراتب التي ذكرت سابقا من شروط المفسر، من تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسنة لأنها جاءت مبينة لكتاب الله، أو بما روي عن الصحابة لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين، لأنهم تلقوا ذلك غالبا عن الصحابة[2].

قال ابن تيمية: "يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ** لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ **إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.النحل: 44. يتناول هذا وهذا.."[3] **ومن أمثلة التفسير بالمأثور: تفسير قوله تعالى:** (صراط الذين أنعمت عليهم)، **فقد فُسِّر المُنْعَمُ عليهم بقوله تعالى:** ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾. **النساء:69.**

وهذا من باب تفسير القرآن بالقرآن. ومن أمثلته كذلك تفسير قوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ..** ﴾. البقرة: 187. فإن كلمة (الفجر) بيان وشرح للمراد من (الخيط الأبيض) التي قبلها. وكذلك قوله تعالى: ﴿**"قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾. **الأعراف: 23. فإنها بيان للفظ كلمات) من قوله تعالى:** ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾. البقرة: 37. وقوله تعالى:﴿ **وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقِ النَّجْمُ الثَّاقِبُ**﴾.**الطارق *1-3*. فإن كلمة (النجم الثاقب) بيان لكلمة الطارق التي قبلها**[4] .

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة، تفسير قوله تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾. الأنفال:60. فقد فُسرت (القوة) في الآية بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي (ثلاث مرات)، والحديث رواه مسلم، وهذا من باب تفسير القرآن بالسنة.

ومن أمثلته كذلك، أنه صلى الله عليه وسلم فسّر الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾. الأنعام: 82. وأيد تفسيره هذا بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾. لقمان: 13.

---

[1] – الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص 282.

[2] – مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص337.

[3] – المرجع نفسه، ص338.

[4] – ينظر: الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص282.

ومن أمثله بيان القرآن بما ورد عن الصحابة، تفسير ابن عباس لقوله تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح" حيث فسر هذه الآية باقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ثبت في صحيح "البخاري.".

ومن أمثلته كذلك، تفسير ابن عباس لقوله تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح" حيث فسر هذه الآية باقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ثبت في صحيح "البخاري".

خصائصه

قال ابن تيمية : "والخلاف بين السلف في التفسير قليل ، وغالبا ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد". والتفسير بالمأثور هو الذي يجب أن يؤخذ به لأنه عن طريق المعرفة الصحيحة، وهو طريق آمن من الزيغ في كتاب الله. وقد روي عن ابن عباس أنه قسم التفسير أربعة أقسام :

قسم تعرفه العرب في كلامها. وقسم لا يعذر أحد بجهالته، يقول من الحلال والحرام. وقسم يعلمه العلماء خاصة، وقسم لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب، وهذا تقسيم صحيح[1].

فأما الذي تعرفه العرب: فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك شأن اللغة والإعراب.فأما اللغة: فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها.

وأما الإعراب: فما كان اختلافه محيلا للمعنى، وجب على المفسر والقارئ تعلمه، ليتوصل المفسر معرفة الحكم و ليسلم القارئ من اللحن.

الثاني: ما لا يعذر واحد بجهله، وهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا لا سواه، يعلم أنه مراد الله تعالى.

الثالث: ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهو ما يجري مجرى الغيوب، نحو الآي المتضمنة قيام الساعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام وتفسير الروح، والحروف المقطعة وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف من أحد ثلاثة أوجه: إما نص من التنزيل، أو بيان من النبي (ص)، أو إجماع الأمة على تأويله، فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه.

والرابع: ما يرجع إلى اجتهاد العلماء ، وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه، فالمفسر ناقل، والمؤول مستنبط، وذلك استنباط الأحكام، وبيان المجمل وتخصيص العموم[2].

---

[1] – الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله 745–795هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، مصر، 2006 ، ص 426.

[2] – المصدر نفسه، ص 426–427.

والذي لا يعذر أحد بجهالته هو ما يتبادر فهم معناه إلى الأذهان من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد ولا لبس فيها، فكا امرئ يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾. محمد:19. وإن لم يعلم أن هذه العبارة وردت بطريق النفي والاستثناء فهي دالة على الحصر.

وأما ما لا يعلمه إلا الله فهو المغيبات كحقيقة قيام الساعة، وحقيقة الروح. وأما ما يعلمه العلماء فهو الذي يرجع إلى اجتهادهم المعتمد على الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي، من بيان مجمل، أو تخصيص عام، أو نحو ذلك.

أعلامـه

1- تفسير الطبري أبو جعفر بن محمد (224- 310هـ (جامع البيان من تأويل القرآن) وهو تفسير غني بالآثار كثير الأحاديث والإسناد، يتعرض فيه لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، و ذكر الإعراب والاستنباط، أثنى عليه الكثير من العلماء بعده[1]، وأجمعوا أنه لم يؤلف في التفسير مثله ومن ذلك قول السيوطي: "أجمع العلماء المعتبرون أنه لم يؤلف في التفسير مثله"[2].

يمتاز الكتاب بالمنهجية فهو يضع عنوانا للآية كما يأتي: (القول في تأويل قوله جل ثناؤه...ثم يفسر الآية بعد أن يذكرها، ويبين المراد منها، ويولي بيان الصلة بين الآية والآية اهتماما كبيرا حتى يتضح الترابط في السياق والموضوعات، ويلجأ إلى شرح الآية بما ورد في معناها من القرآن في مواضع أخرى منهن وله جولات في بعض المفردات اللغوية جيدة، إذ يبين المعنى الأصلي للمفردة، ثم يبن المعنى المنقول إليه مع بيان مناسبة النقل، ثم يورد أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين والعلماء في تفسيرها متصلة بالأسانيد إلى أصحابها، ويرجح بينها، ويختار واحدا منها يعتمده، ويناقش من يخالفه في تفسير الآية على الوجه الذي اختاره[3]...

2- ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (700-774هـ): تفسير القرآن العظيم. من أشهر كتب التفسير بالمأثور، قدم له بمقدمة طويلة تحدث فيها عن: أصول التفسير. وطريقته أنه يذكر الآية أو الآيات، ثم يفسرها بعبارة سهلة، ويورد بعض الآيات التي توضحها –إن وجدت–ثم يورد الأحاديث التي تتعلق بالآية، ثم يأتي بأقوال الصحابة والتابعين بأسانيدها، ويرجح بعض الأقوال على بعض، ويرد بعض الأقوال. وهو يورد في تفسيره ناذرا بعض الإسرائيليات، وينبه إلى منكراتها. وهو متأثر

[1] – ينظر: محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص269-272.

[2] – السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، 190/2.

[3] – محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص273.

إلى حد كبري بابن جرير الطبري[1]. ومن مزاياه: الدقة في الإسناد، بساطة العبارة، وضوح الفكرة، وتبعا لهذا المنهج ألفت كتب كثيرة منها:

3- جلال الدين السيوطي (.....911هـ) كتابه: الدر المنثور في التفسير بالمأثور).

4- أبو الليث السمرقندي (بحر العلوم).

5- تفسير البغوي (معالم التنزيل).

6-تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)

7-الشوكاني (فتح القدير)

نقده: إن تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة الصحيحة المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلا خلاف في صحته وقبوله. وأما تفسير القرآن بما يُعزى إلى الصحابة والتابعين، فإنه يتطرق إليه الضعف من وجوه[2]:

1- ما دسه زنادقة اليهود والفرس الذين أرادوا هدم الدين عن طريق الدس والوضع حينما أعيتهم الحيل في النيل منه عن طريق الحرب والقوة وعن طريق الدليل والحجة.

2- ما ألفه أصحاب المذاهب المتطرفة ترويجا لتطرفهم، كشيعة الإمام علي الذين نسبوا إليه ما هو بريء منه. وكالمتزلفين للعباسيين الذين نسبوا إلى ابن عباس ما لم تصح نسبته إليه، تملقا واستدرارا لدنياهم.

3- اختلاط الصحيح بغير الصحيح ونقل الكثير من الأقوال المنسوبة إلى الصحابة أو التابعين من غير تحر أو إسناد، مما أدى إلى التباس الحق بالباطل.

4- أن تلك الروايات مليئة بالإسرائيليات ومنها كثير من الخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها ومنها ما يتعلق بأمور العقائد التي لا يجوز الأخذ فيها بالظن ولا برواية الآحاد، بل لابد من دليل قاطع فيها،كالروايات التي تتحدث عن أشراط الساعة وأهوال القيامة، وأحوال الآخرة.

5- أن ما نقل نقلا صحيحا عن الكتب السابقة عند أهل الكتاب كالتوراة والإنجيل أمرنا الرسول (ص)أن نتوقف فيه، فلا نصدقهم لاحتمال أنهم حرفوا تلك الكتب، ولا نكذبهم لاحتمال أنه مما حفظوه منها، فقد قال تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾. آل عمران:23.

يقول ابن كثير: أن كثيرا من التفسير بالمأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب، قال بعضهم: وجل ذلك في قصص الرسل مع أقوامهم، وما يتعلق بكتبهم و ومعجزاتهم، وفي تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف، ومدينة إرم ذات العماد، وسحر بابل وعوج بن عنق، وفي أمور

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 280.

[2] – ينظر: عبد المجيد محمود مطلوب، مباحث في علوم القرآن والحديث، ص 198

الغيب من أشراط الساعة وقيامها وما يكون فيها وبعدها. وجل ذلك خرافات ومفتريات، صدّقهم فيها الرواة حتى بعض الصحابة رضي الله عنهم[1].

ثانيا– التفسير بالرأي

تعريفه وشروطه: المراد بالرأي هنا هو الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موفقا أي مستندا إلى ما يجب الاستناد إليه، بعيدا عن الجهالة والضلالة، فالتفسير به محمود وإلا فمذموم. والأمور التي يجب استناد الرأي إليها في التفسير نقلها السيوطي في الإتقان عن الزركشي، فقال ما ملخصه: للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أهمها أربعة[2]:

الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الحديث الضعيف والموضوع.

الثانية: الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل أنه في حكم المرفوع مطلقا. وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

الثالثة: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

الرابعة: الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع. وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".[3]

فمن فسر القرآن برأيه ملتزما الوقوف عند الشروط الأربعة السابقة كان تفسيره جائزا محمودا عند العلماء، وأدلتهم على جوازه كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. محمد: 24.

ومن حاد عن هذه الأصول وفسر القرآن معتمدا على الرأي والهوى كان تفسيره مذموما غير جائز قال ابن تيمية في مقدمة (أصول التفسير): والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ*.إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. البقرة:168-169.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾. الإسراء: 36. "وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي والهوى هم أهلل الأهواء والبدع، الذين اعتقدوا معتقدات باطلة ليس لها سند ولا دليل، ففسروا آيات القرآن بما يوافق آراءهم ومعتقداتهم الزائفة، وحملوها على ذلك بمجرد الرأي والهوى".[4]

---

[1] – ينظر المرجع السابق، ص197.

[2] – الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 304.

[3] – ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص304.

[4] – فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص 175 وما بعدها.

فالتفسير بالرأي الجائز يجب أن يعتمد صاحبه على ما نقل عن الرسول (ص) وأصحابه، وأن يكون صاحبه عارفا بقوانين اللغة خبيرا بأساليبها، وأن يكون بصيرا بقوانين الشريعة حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه.

أما الأمور التي يجب الابتعاد عنها في التفسير بالرأي فمن أهمها[1]:

1- التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة.

2- حمل كلام الله على المذاهب الفاسدة.

3- الخوض فيما استأثر الله بعلمه.

4- القطع بأن مراد الله كذا من غير دليل.

5- السير مع الهوى والاستحسان. ويمكن تلخيص هذه الأمور الخمسة في كلمتين هما: الجهالة والضلالة[2].

أعلامه: المؤلفات في التفسير بالرأي كثيرة منها:

1- (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) للزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر 467-538هـ).

2-(مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر 544-606هـ).

3-(في ظلال القرآن) لسيد قطب (سيد بن الحاج قطب 1906- 1966م).

نقده

اختلف العلماء في التفسير بالرأي بين مجيز ومانع. ويستدل المانعون بأدلة منها[3]:

1-أن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم منهي عنه. فالتفسير بالرأي منهي عنه.

والمفسر بالرأي ليس متيقنا أنه يصيب، وقصارى جهده أنه يظن. والقائل بالظن، قائل على الله بغير علم: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. البقرة: 169. ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. الأعراف: 33.

2- ما يرويه الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" (رواه الترمذي الجامع، رقم (2951).

---

[1] - الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 304-305.

[3] - الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص307.

أما أدلة المجيزين للتفسير بالرأي فمنها:

1- أن الله تعالى قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. محمد: 24. ويقول: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. سورة:ص: 29. ويقول: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ...﴾. النساء 83.

وجه الاستدلال أن الله تعالى حث على تدبر القرآن، والاعتبار بآياته والاتعاظ بمواعظه. وهذا يدل على أن أولي الألباب بما لهم من العقل السليم عليهم أن يتناولوا ما لم يستأثر الله بعلمه. والآية الكريمة تدل على أن في القرآن ما يستنبطه ويستخرجه أولو اللباب والفهم الثاقب[1].

[1] – المصدر السابق، ص 309.

المحاضرة الحادية عشر

التفسير اللغويي خصائصه أعلامه نقده

1-تعريفه

2- خصائصه

3- أعلامه

4- نقده.

من سنة الله تعالى أن أرسل الرسل بلسان قومهم ونزل عليهم الكتب بلسانهم ليفهموا عن الله مراده فيصدقونه ويؤمنون به، ولو كان بغير لغتهم لاحتاجوا إلى ترجمان يبين لهم. ولما كان الأمر كذلك كانت لغة العرب من أهم المصادر وأوثقها في معرفة كلام الله تعالى، وكان من أهم ما فيها —وهو من بدايات علم التفسير– معرفة دلالات الكلام (أي: معاني الألفاظ) التي يدور عليها كثير من علم التفسير ليعرف المراد بالخطاب. وهذا مما يجب أن يعرفه من أراد علم التفسير، إذ لزاما عليه أن يعرف مدلولات الألفاظ ويشرح معانيها من مصادرها المعتمدة.[1]

وإذا تأملنا تفسير القرآن في الآثار المنقولة عن الصحابة أو التابعين وأتباعهم، فإننا نجد ما كان مرجعه اللغة له الحظ الأوفر، بل سنجد تعدد مدلولات لفظ من ألفاظ القرآن في لغة العرب كان سببا في اختلاف المفسرين، فمنهم من اجتهد برأيه واعتمد معنى، ومنهم من اجتهد رأيه واعتمد معنى آخر، وكلاهما كان معتمده الأول ورود هذا المعنى في لغة العرب، ثم صحة حمل هذا اللفظ على الآية.

1–تعريفه: التفسير اللغوي هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب[2]. أما الشّق الأول من التعريف، وهو (بيان معاني القرآن): فإنه عام يشمل كل مصادر البيان في التفسير؛ كالقرآن والسنة وأسباب النزول وغيرها.

وأما الشق الثاني منه، وهو (بما ورد في لغة العرب): فإنه قيد واصف لنوع البيان الذي وقع لتفسير القرآن، وهو ما كان طريق بيانه عن لغة العرب.

والمراد بما ورد في لغة العرب: ألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن. وقد أشار إلى هذا الشاطبي* فقال: "فإن قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب، وإنه عربي، وإنه لا عُجْمة فيه، فيعني أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها..."[3].

ومن أمثلة تفسير الألفاظ، تفسير لفظ (استوى) في قوله تعالى: **"إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" الأعراف 54**.

قال أبو عبيدة*: مجازه: ظَهَرَ على العرش وعَلاَ عليه.

---

[1]- ينظر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د ت)، ص 5.

[2]– المرجع نفسه، ص 38.

*– إبراهيم بن موسى الغرناطي المعروف بالشاطبي، الفقيه الأصولي المحقق، صاحب كتاب (الموافقات والاعتصام) توفي سنة 790هـ.

[3]– مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص 791.

*– معمر بن مثنى البصري، عالم بالعربية، ومن أكثر الناس رواية لها، وله فيها كتب كثيرة، ومما كتبه في القرآن كتابه المشهور (مجاز القرآن) توفي 210هـ.

هذا الاتجاه من أقدم الاتجاهات في تفسير القرآن، وقد ألفت فيه كتب كثيرة يمكن تصنيفها في ثلاثة أقسام[1]:

1- القسم الأول ما يتعلق بمفردات اللغة أو ما يرف بكتب غريب القرآن.

حيث يوجد في القرآن كلمات غريبة، قد يكون معناها غامضا لا يفهم إلا بعد جهد وتنقيب.وإما أن يكون معناها معروفا لقوم دون غيرهم لأنها مستعملة في لغتهم، وفي أخبار الصحابة ما يدل على ذلك، قال السيوطي: "فهذه الصحابة وهم العرب العرباء، وأصحاب اللغة الفصحاء، ومن نزل القرآن عليهم بلغتهم، توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها، فلم يقولوا شيئا...من ذلك أن أبا بكر الصديق سُئل عن قوله تعالى: "وفاكهة وأبّاً.." عبس 31. فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: (وفاكهة وأبا) فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأَبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر[2].

2- خصائصه

يستقريء كتب اللغويين يجد أنهم سلكوا مسلك السلف في التفسير اللغوي، فظهر عندهم التفسير على المعنى، وعلم الوجوه وأسلوب التفسير اللفظي، غير أن هذا الأخير هو الغالب على التفسير اللغوي عند اللغويين، والأولان لا يشكلان شيئا كثيرا عندهم[3].

أ-كثرة مباحث الصرف والاشتقاق

حيث ظهر عند اللغويين أسلوب التفسير اللفظي، خاصة عند الفراء (ت 207 ه) والأخفش (ت 215ه) ومن أمثلة ذلك قول الأخفش: "(ولا تقربوهن حتى يطهرن). البقرة: 222. لأنك تقول: طَهَرَتْ المرأة، فهي تطْهُرُ، وقال بعضهم طَهُرت". وقالوا: طَلَقَتْ تَطْلُقُ، وطَلُقَتْ تَطْلُقُ أيضا..

وقال أيضا: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم). البقرة: 225. تقول: لَغَوتُ في اليمين، فأنا أَلْغُو لَغْواً...وتقول لَغِتُ باسم فلان، فأنا ألْغَا به لَغًا أي أذكُرُهُ"[4]. فهذه المسائل لا أثر فيها على التفسير بل هي إلى الصرف أقرب.

ب-كثرة المباحث النحوية.

---

[1]- محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص219.

[2]- الإتقان 113/1. نقلا عن: محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص220.

[3] - مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص 128.

[4]- الأخفش: معاني القرآن، تح: هدى قراعة، ص 186-187. نقلا عن: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص 128.

كان النحو بارزا في كتب المعاني، ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى:(**وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**).يوسف: **18**. قال الزمخشري (ت 537هـ): فصبر جميل، مرفوع على أحد الوجهين: على أنه خبر مبتدأ محذوف. والتقدير (شأني صبرٌ جميلٌ). أو على مبتدأ محذوف الخبر. والتقدير (فصبري جميل أجمل لكونه موصوف).[1]

ج–كثرة الاستشهاد من لغة العرب[2]

لقد كانت الشواهد الأدبية عند اللغويين ذات أهمية كبيرة، حيث كثير ما يلجأ المفسرون اللغويون إلى الشواهد للمسائل النحوية والصرفية والاشتقاقية. ومن الأمثلة على هذه الشواهد في كتب اللغويين قال الفراء (ت 207هـ) (لا يرجون لقاءنا). الفرقان: 21. لا يخافون لقاءنا. وهي لغة تِهامية، يضعون الرجاء موضع الخوف إذا كان معه جحد، ومن ذلك قوله تعالى:)ما لكم لا ترجون لله وقارا). نوح: 13. أي لا تخافون له عظمة، وأنشدني بعضهم:

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا أسَبْعَةً لاقتْ أمْ واحدا

يريد لا تخاف ولا تبالي.

د– بيان الأساليب العربية الواردة في القرآن[3]

اعتنى اللغويون ببيان الأساليب العربية الواردة في القرآن،من حذف واختصار وذكر للسبب وترك المسبب وعكسه، وذكر للواحد بلفظ الجمع وعكسه، وذكر للإجابة على خص بلفظ العام، وعكسه، وغيرها.

وكان لاهتمامهم هذا أسباب؛ كالنص على عربية القرآن كما عند أبي عبيدة (ت 210هـ) في (مجاز القرآن)، والرد على الطاعنين فيه كما عند ابن قتيبة (ت 276هـ) في تأويل مشكل القرآن.

ومن الأمثلة الواردة في كتبهم:

1– قال الفراء في قوله تعالى: (**مَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**) الزمر:9. فإن قال قائل فأين جواب (أَمَّنْ هو) فقد تبين في الكلام أنه مضمر، قد جرى معناه في أول الكلمة، إذ ذكر الضال، ثم ذكر المهتدي بالاستفهام، فهو دليل على أنه يريد: أهذا مثل هذا، أو هذا أفضل من هذا. ومن لم يعرف مذاهب العرب ويتبين له المعنى في هذا وشبهه لم يكتفِ ولم يشتفِ، ألا ترى قول الشاعر:

---

[1] - الزمخشري:الكشاف، ج3، ص 153. نقلا عن: محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص.

[2] - ينظر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص130.

[3] - ينظر: محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير 133–134.

فَأُقْسِمُ لو شَيْءٌ أَتانا رسوُلُهُ سِواكَ، ولَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا

أن معناه: لو أتانا رسول غيرك لدفعناه، فَعُلِمَ المعنى ولم يُظْهِرْ. وجرى قوله (**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ...**). الزمر: 22. على مثل هذا.

2– وقال أبو عبيدة في قوله تعالى:(**فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**). البقرة:196. العرب تؤكد الشيء وقد فُرِغَ منه، فتقيده بلفظ غيره تفهيما وتوكيدا"[1]

3– أعلامه

هذا الاتجاه من أقدم الاتجاهات التي وجدت في التفسير ، ويقسم الدارسون الكتب التي عالجت هذا الموضوع إلى ثلاثة أقسام:[2]

القسم الأول: ما يتعلق بمفردات اللغة أو كتب غريب القرآن. ومن العلماء المتقدمين الذين ألفوا في غريب القرآن"

–علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة 182هـ.

–يحي بن المبارك اليزيدي المتوفى سنة 202هـ.

–قطرب محمد بن المستنير المتوفى سنة 206هـ.

ي–يحي بن زياد الفراء المتوفى سنة 207هـ.

– غريب القرآن لابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ولد بالكوفة سنة 213هـ، ذكر في مقدمة كتابه أنه قصر بحثه على غريب القرآن.

– غريب القرآن للسجستاني (أبو بكر محمد بن عُزيز السجستاني المتوفى سنة 330هـ)، وكتابه هذا يسمى أيضا (نزهة القلوب).– المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المتوفى سنة 502هـ.

– القسم الثاني: ما يتعلق بالنحو والقضايا الإعرابية. كان التأليف في هذا الميدان يساير التأليف في غريب القرآن، ومن أشهر الكتب المؤلفة في هذا المجال:

–كتاب معاني القرآن للفراء (أبو زكريا، يحي بن زياد، المتوفى سنة 207هـ).

– تفسير البحر المحيط لأبي حيان (أثير الدين، محمد بن يوسف الغرناطي، ولد في الأندلس سنة 654هـ وتوفي سنة 745هـ). يتحدث فيه عن المعاني اللغوية للمفردات أولا ثم يكثر فيه من التعرض للمسائل النحوية، ويتوسع في ذكر الخلاف بين النحويين في إعراب الكلمات.

–كتاب إعراب القرآن للزجاج المتوفى سنة 311هـ.

---

[1] - أبو عبيدة: مجاز القرآن، ج1، ص 70. نقلا عن: محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص 134.

[2]– ينظر: محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص219–244.

-كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه النحوي (الحسين بن أحمد المتوفى سنة 370هـ).

– القسم الثالث: ما يتعلق بالبلاغة والأساليب البيانية. وهو التفسير الذي يكشف عن وجوه الجمال والإعجاز، وقد كان المعتزلة يهتمون بدراسة البلاغة القرآنية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وكان من أهم أعلامهم: واصل بن عطاء والجاحظ. وفي القرن الخامس نجد عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471هـ، يأخذ على عاتقه مهمة البحث البلاغي (البياني) في القرآن في كتابه (دلائل الإعجاز).

ومن أشهر التفاسير في هذا المجال تفسير الكشّاف للزمخشري (محمود بم عمر أبو القاسم ولد في زمخشر سنة 467هـ وتوفي سنة 538 هـ). وعنوان الكتاب هو: (الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل).وقد كتب بلغة رفيعة بليغة واضحة مع خلوه من الحشو التطويل، ومن خصائصه: أنه أوسع كتاب في في استجلاء نواحي الجمال في القرآن والكشف عن وجوه الإعجاز.

4- نقده

من المآخذ التي وجهت لأصحاب هذا التفسير[1]:

1- اعتماد هم على العقل في الاعتقاد والاستدلال.

2-اعتماد هم اللغة مجردة عن غيرها من المصادر.

3-بعد هم عن تفسير السلف، وعدم الأخذ به.

وقد ساعد هم على هذا اتساع لغة العرب، مع العلم أن لغة العرب أصل أصيل في التفسير، وقد سلك هذا السبيل صنفان:

الصنف الأول: اللغويون: الذين يفسرون القرآن بحسب ما بلغهم من لغة العرب وقد دخل بسببهم نوعان من الأقوال في التفسير:

1- أقوال فيها خلاف لأقوال السلف، وهي أقوال فيها نظر، لا يمكن قبولها معه.

2- أقوال فيها شذوذ في التفسير، وسبب ذلك اعتماد مجرد اللغة دون غيرها من المصادر، أي أن هذه الاختيارات ليس لها عماد سوى أنها حُكيت على أنها من لغة العرب.

الصنف الثاني: أهل البدع: أهل البدع الذين يريدون إثبات بدعهم باعتمادهم على مجاز اللغة وسعتها. و كان نظرهم إلى اللغة تابعا للمعتقد الذي يعتقدونه. والأصل عندهم بدعتهم، ثم يبحثون في سعة لغة العرب عما يدعمها، وإن كانوا يحرصون على إبراز أن تأويلاتهم لا تخرج عن اللغة[2] .

---

[1] - مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص 512-513.

[2] - محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص 517.

المحاضرة الثانية عشر

التفسير البياني والأدبي

1- تعريفه

2- أعلامه

3- خصائصه

4-نقده.

ثانيا– التفسير البياني والأدبي

التفسير البياني والأدبي هو تفسير يبرز إعجاز القرآن ويعتمد في عرض معانيه على الأسلوب الأدبي الجذاب ليصل إلى القارئ بما يريد من التأثير والتوجيه.

وقد لفت هذا التفسير الوحيد إليه الأنظار، لأنه استطاع أن يملك ناصية البيان الأدبي في عرض المعاني، وناصية الذوق الأدبي في فهم أسرار إعجاز القرآن، ثم في المنطلق المعاصر الذي عُني به وهو إبراز إعجاز القرآن في فن التصوير حتى استطاع أن ينال الاعتراف به والإعجاب، إذ سبق وبادر لإثبات إعجاز القرآن وفق مقياس أدبي فني حديث: هو فن التصوير، وأن يقدم تفسيرا كاملا للقرآن يبرز فيه مصداق هذه النظرية[1]

1– تعريفه: هو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني. فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير[2].

ما يحتاج إليه الذي يتصدى للتفسير البياني[3]: إن المتصدي للتفسير البياني يحتاج ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير العام، إلا أن به حاجة أكثر إلى الأمور الآتية:

–التبحر في علم اللغة

–التبحر في علم التصريف

–التبحر في علم النحو

–التبحر في علوم البلاغة

نشأته

إن التأليف في التفسير البياني الذي يكشف عن وجوه الجمال والإعجاز، والذي يولي هذا الجانب الاهتمام الأكبر فقد كان متأخرا من جهة، وكان محصورا في حقلين من جهة أخرى[4].

الحقل الأول: حقل إعجاز القرآن.

الحقل الثاني: حقل المتكلمين والبلاغيين: كان المعتزلة –وهم المشتغلون في علم الكلام– يحاولون احتكار العناية بدراسة البلاغة القرآنية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وكان من أهم أعلامهم واصل بن عطاء والجاحظ ومحمد بن يزيد الواسطي وغيرهم، ولكنهم لم يفلحوا في أن يبقى البحث في البلاغة

---

[1] – نور الدين عتر: علوم القرآن، ص113.

[2] – فاضل صالح السامرائي: على طريق التفسير البياني، ج1، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1423هـ– 2002، ص 7.

[3] – المرجع نفسه، ص ن.

[4] – محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص241.

العربية وقفا عليهم، إذ سرعان ما ظهر في القرن الخامس عبقري هو عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471هـ، يأخذ على عاتقه هذه المهمة وينزع الراية من أيدي المعتزلة، وقد وفق غاية التوفيق في عصره في الوقوف على أسرار النظم القرآني في كتابه الشهير (دلائل الإعجاز)[1].

2- أعلامه

كانت كتابات القدماء في الإعجاز حصيلة جهود متعاونة متعددة أسهم فيها علماء اللغة والنحو والبيان والكلام والأصول، وكانت لهم لبنات في بناء صرح الإعجاز وإرساء قواعده يمكن تقسيمها على ثلاث مراحل[2]:

المرحلة الأولى: دور الإشارات: من أقدم الكتب التي ألفت عن القرآن الكريم تلك التي تتحدث عن معاني القرآن منها كتابان: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء.

المرحلة الثانية: دور الرسائل: وصلتنا رسالتان لإمامين متعاصرين من علماء القرن الرابع هما: النكت في إعجاز القرآن فلإمام الرماني، من أئمة المعتزلة. والثانية: بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي من أئمة أهل السنة.

المرحلة الثالثة: دور الكتب ومنها: كتاب إعجاز القرآن للباقلاني. وكتاب (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي عبد الجبار الهمذاني. ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

أما أشهر الكتب التي ألفت في هذا المجال فأهما (**الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**) للزمخشري. وهو: محمود بن عمر أبو القاسم. وقد عرف ب: جار الله لأنه جاور في مكة مدة من الزمان. ولد في زمخشر سنة 467هـ وتوفي في جرجانية من قرى خوارزم سنة 538هـ. كان من أكبر شيوخ الاعتزال في عصره. ترك عدة كتب من أشهرها: (أساس البلاغة) في مفردات اللغة التي تستعمل في المجاز.و(المفصل في النحو) .و تفسيره السالف الذكر.

و تفسيره له مكانة كبيرة يدل على ذلك الثناء عليه من طرف من وقفوا عليه، ومعظمهم من خصوم الزمخشري ومن خصوم المعتزلة كابن بشكوال وأبي حيان وابن حجر. وكان الزمخشري معتدا بهذا الكتاب فخورا به إلى حد بعيد حتى نسب إليه السيوطي وصاحب كشف الظنون وغيرهما البيتين الآتيين:

إن التفاسير في الدنيا بلا عـدد وليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء و(الكشاف) كالشافي[3]

عندما نلقي نظرة على تفسير الكشاف للزمخشري نجد أن المبدأ الغالب عليه هو تبيين ما في القرآن من الثروة البلاغية التي كان لها كبير الأثر في عجز العرب عن معارضته والإتيان بمثله، والذي يقرأ

---

[1] – ينظر: محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص241–242.

[2] – فاضل صالح السامرائي: على طريق التفسير البياني، ص 25–26.

[3] – المرجع، نفسه، ص244.

ما أورده الزمخشري في تفسيره لكثير من الآيات في الكشاف من ضروب الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية الأخرى يرى أن الزمخشري يحرص كل الحرص على أن يبرز جمال أسلوب القرآن وكمال نظمه في حلة بديعة[1].

وإذا استعرضنا كتب التفسير وتأملنا مبلغ عنايتها باستخراج ما يحتويه القرآن من ثروة بلاغية في المعاني والبيان نكاد نجزم أنه لا يوجد تفسير أوسع مجالا في جهوده في هذا الصدد من تفسير الزمخشري.

ولقد كانت عناية الزمخشري بهذه الناحية في تفسيره بالغة الأثر في المفسرين، فكل من جاء بعده استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة كانوا لا يلتفتون إليها لولاه، فأوردوا في تفسيرهم ما ساقه الزمخشري في كشافه من ضروب الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية الأخرى[2].

ومن الذين تأثروا به:

أ-البيضاوي (ناصر الدين أبو الخير ت: سنة 691هـ) في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

ب-الإمام النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد ت: 701هـ) في تفسيره)مدارك التنزيل و حقائق التأويل).

ج- الإمام ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة 852هـ في كتابه (الكاف الشافي في تخريج أحاديث الكشاف).

3- خصائصه

أ- يشير الزمخشري في مقدمة كتابه أن من يتصدى للتفسير لا يغوص على شيء من حقائقه إلا رجل قد برع في علمين مختصين وهما (علم المعاني) وعلم (البيان).[3]

ب- ويحلل ابن خلدون كتاب الكشاف للزمخشري في قوله عند الحديث عما يرجع إليه المفسر من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة: "ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير ، كتاب الكشاف للزمخشري".[4]

ج- في البداية كان الباحثون في بلاغة القرآن يقفون عند خصائص النصوص المفردة ولا يتجاوزونها إلى الخصائص العامة، وفي المرحلة الثانية من مراحل النظر في الآثار الفنية وهي مرحلة الإدراك لمواضع الجمال المتفرقة، وتعليل كل موضع منها تعليلا منفردا[5].

---

[1] - ينظر: الذهبي (محمد حسين) التفسير والمفسرون، ج1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1995، ص 313.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص 313.

[3] - مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص359.

[4] - المرجع نفسه، ص ن.

[5] - محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص243.

د–اللغة في كتاب الزمخشري رفيعة سامية بليغة واضحة وقد خلا هذا التفسير من الحشو والإطناب، وامتاز بالتركيز والإيجاز الذي لا يورث الكلام غموضا ولا تعقيدا.

هـ–يقلل من ذكر الروايات الإسرائيلية، ويناقش ما يورده منها وغالبا من يردها، لذا يمكن عّ هذا التفسير خاليا من الإسرائيليات.

و–الطابع العقلي واضح في منهج الزمخشري في الكتاب، ولذلك فإن اعتباره ممثلا لاتجاه التفسير بالرأي أمر منطقي.

4 –نقده.

أ– ومن محاذير هذا النهج في التفسير أنه يغفل جوانب القرآن المتعددة من أسرار الإعجاز في معانيه وتشريعاته، وأحكامه ومبادئه للحياة الإنسانية الفاضلة، ويتخذ من النص القرآني مادة للدراسة الأدبية كالنص الشعري أو النثري، ودراسة النصوص الأدبية تعتمد على الذوق اللغوي الذي يتفاوت من شخص لآخر بتفاوت ثقافته[1].

ب– يشتد على أهل السنة والجماعة ويذكرهم بعبارات فاحشة، وقد ينسبهم إلى أهل الأوهام والخرافات، وقد ينسبهم على سبيل التعريض إلى الكفر[2].

[1] – مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص364 (هامش الصفحة).

[2] – محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص246.

المحاضرة الثالثة عشر

(الإعجاز القرآني)

أولا–الإعجاز اللغوي والبياني

1– تعريف المعجزة والإعجاز

2–الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر

3– ثبوت إعجاز القرآن

4– مؤلفات الإعجاز عند المتقدمين والمتأخرين

5– حدود الإعجاز البياني

تحدى القرآن فصحاء العرب بمعارضته، فانهزموا أمام تحديه وأعلنوا عجزهم عن تقليده لأنه يعلو ولا يُعلى عليه. ولقد كان الإعجاز القرآني جديرا أن يثير في الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية يتصدى به العلماء للكشف عن وجوه البلاغة القرآنية، وعن أسلوب القرآن الفريد في التصوير والتعبير. وبذل أولئك العلماء جهودا مشكورة، وقاموا بمحاولات مضنية لإبراز البلاغة القرآنية.

1–تعريف المعجزة والإعجاز

أ– المعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة يظهرها الله على يد النبي على وفق دعواه تصديقا له. ولا تتحقق المعجزة إلا إذا توفرت فيها الأمور الآتية[1]:

– أن تكون جارية على غير ما اعتاده الناس وألفوه من السنن الكونية والظواهر الطبيعية، فلم يألف الناس أن تتحول العصا إلى حية، ولا يعجز البلغاء عن الإتيان بمثل كلام بليغ.

– أن تكون مقرونة بتحدي المكذبين أن يأتوا بمثلها.

– أن تكون سالمة عن المعارضة، فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها قولا أو عملا، فلو أتى بمثلها لا تكون معجزة.

– أن تكون المعجزة من الله وحده.

– أن تظهر على يد نبي.

– أن تكون على وفق ما يدعيه النبي، وليست مخالفة لدعوته.

أنواع المعجزات: المعجزات قسمان:

أ– معجزات حسية: كالإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، وإحياء الموتى لعيسى، وانقلاب العصا حية ، وشق طريق في البحر لموسى، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى عليه السلام.

ب– معجزات عقلية: مثل استجابة الدعاء، والإخبار عن الغيب، والقرآن الكريم، وقد جرت سنة الله أن يجعل معجزة كل نبي مناسبة لما يتفوق فيه قومه، ولما كان العرب قوم بيان ولسن كانت معجزة محمد– صلى الله عليه وسلم – الكبرى هي القرآن الكريم.

ب– تعريف الإعجاز

لقد بحث العلماء هذا الموضوع ووقفوا عند وجوه الإعجاز في القرآن، وتعددت آراؤهم، وتنوعت مواقفهم، وكثرت المؤلفات في هذا المجال قديما وحديثا.

أ– تعريف الإعجاز لغة

[1] – محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص78–79

الإعجاز لغة مصدر الفعل أَعْجَز، مثل الإحسان من أَحْسَنَ، والإكرام من أَكْرَمَ، والفعل الثلاثي عَجَزَ وعَجِزَ، ومضارعه يَعْجِزُ، ويقال عجز عن الأمر إذا قصّر عنه، وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه[1]. "والإعجاز مصدر الفعل الرباعي أعجز، وفيه معنى الفوت والسبق، ويطلق على الفائز السابق لخصمه الذي جعل خصمه عاجزا عن إدراكه. ولذلك يقول الخصم المغلوب العاجز: أعجزني فلان إعجازا. وهذا المعنى الاصطلاحي لمصطلح الإعجاز متحقق في مصطلح إعجاز القرآن"[2]. وجاء في القرآن: ﴿ **وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ العنكبوت:22. ومصدر أعجز الإعجاز ومنه اشتقت المعجزة وهي اسم الفاعل لحقته تاء التأنيث.

ب- تعريف الإعجاز اصطلاحا

للعلماء في تعريف الإعجاز أقوال تختلف ألفاظها وتتحد معانيها، منها تعريف الهمذاني، معنى إعجاز القرآن: "أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله، في القدر الذي اختص به"[3].

وإعجاز القرآن مركب إضافي معناهبحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به فالتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الأنبياء بما تحداهم به[4].

والخلاصة في معنى إعجاز القرآن هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله.رغم توفر ملكتهم البيانية، وقيام الداعي على ذلك، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك.

2- الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر

قد يكرم الله تعالى بعض أوليائه من المتقين الأبرار بأمر خارق، ويسمى ذلك كرامة. وثمة فرق كبير بين المعجزة والكرامة، لأن الكرامة لا يدعي صاحبها النبوة، ولا يتحدى بها الناس وإنما تظهر على يده لصدقه في اتباع النبي، وليس صاحب الكرامة بمعصوم، وقد قال بعض المحققين أن الكرامات التي تقع للأولياء هي من جملة معجزات الأنبياء، لأن هؤلاء الأبرار ما كانت لتقع لهم تلك الخوارق لولا اعتصامهم بالإتباع الحق للنبي وقيامهم بدعوته، وهذا يبين لنا أن شرط الكرامة للولي صدق الإتباع

---

[1] -ابن منظور (محي الدين بن مكرم): لسان العرب مادة ع ج ز.

[2] - سامي محمد هشام حريز: نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا وتطبيقيا، الجامعة الأردنية، 2006 ص23.

[3] - عبد الجبار الهمذاني: المغني في أبواب التوحيد والعدل: نقلا عن (إعجاز القرآن) 226

[4] - الزرقاني (عبد العظيم)، مناهل العرفان، ص465.

للنبي صلى الله عليه وسلم. لكن ليس من شرطه العصمة، فإن الولي قد يقع في المعصية، أما الأنبياء فقد عصمهم الله تعالى[1].

أما السحر: فهو أبعد شيء عن المعجزة والكرامة وإن كان يقع فيه غرائب، لكنه يفترق عن المعجزة والكرامة لأن صاحبه راكب حتى الفسوق والعصيان والطاعة للشيطان والتقرب إلى الجن بالكفر والفسوق والبدعة، وإن كان عمل الساحر مستغربا طريفا، لكنه لا يخرج عن طاقة الإنس والجن، إذ ما يعمله السحرة مترتب على أسباب يتعلمونها، لذلك خضع السحرة لموسى لما رأوا معجزته لأنهم أعلم الناس بأسباب السحر ،ومن ثم أدركوا أن موسى على الحق المبين فكانوا أول المؤمنين[2].

3- ثبوت إعجاز القرآن

لقد أعلن إعجاز القرآن على العالم من أعظم مصدر وأصدقه وهو القرآن الكريم حيث تحداهم بالإتيان بمثله علنا على رؤوس الأشهاد، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾.الطور: 33-34.

ثم جاءهم بتخفيف التحدي فتحداهم بعشر سور فحسب في قوله تعالى :﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾. هود:13.

ثم أرخى لهم حبل التحدي ووسع لهم غاية التوسعة فتحداهم بسورة واحدة، أي سورة ولو من قصار السور ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾. يونس:38.

ثم قطع الله عليهم، بل على الثقلين كلهم بهذا الإعلان الحاسم :﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ .الإسراء:88.

وأكد هذا الحسم وذلك التحدي بقوله تعلى: في سورة البقرة :﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾.البقرة: 23-24

أوجه الإعجاز في القرآن الكريم: كثيرة منها: إخباره بالغيب، إعجازه العلمي، لغته ونظمه وأسلوبه، بلاغته...

---

[1] - ينظر: نور الدين عتر، علوم القرآن، ص 191-192.

[2] - المرجع نفسه، ص192.

4- مؤلفات الإعجاز عند المتقدمين والمتأخرين

رأي الجمهور فيه: كان للعلماء عناية كبيرة واهتمام عظيم بإعجاز القرآن على الرغم أن مصطلح (إعجاز القرآن) لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة رضي الله عنهم وإنما ورد التعبير عن هذا المعنى بالآية، والبرهان والسلطان وغير ذلك وهي العبارات التي كان يتداولها العلماء في القرنين الأول والثاني الهجريين عند حديثهم عن إعجاز القرآن، وليس هناك تأريخ دقيق لظهور مصطلح إعجاز القرآن[1].

لعل الجاحظ (ت255هـ) وأول من تكلم على بعض المباحث المتعلقة بالإعجاز في كتابه (نظم القرآن) ولم يصلنا هذا الكتاب[2]. ولا يبعد أن يكون محمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة 306هـ قد استفاد من كتاب الجاحظ وبنى عليه حين صنف كتابه (إعجاز القرآن) الذي لم يصلنا كذلك، وإنما وصل إلينا ما ينبئ عنه في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني الذي نعلم أنه شرح كتاب الواسطي شرحين أحدهما كبير سماه (المعتضد)، والآخر أصغر منه[3]. ثم يأتي بعد الواسطي الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى ت: 384هـ) في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) ثم: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ) في كتابه المشهور (إعجاز القرآن) الذي جمع فيه كثير من المباحث البلاغية القرآنية، ثم تلته كتب أخرى هي:

- بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حَمْد بن محمد الخطابي (ت386هـ.)

-دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (ت472هـ).

ومن المؤلفات الحديثة في هذا الموضوع:

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي.

5- حدود الإعجاز اللغوي والإعجاز البياني

في الألفاظ والأسلوب هذا الوجه هو أعظم وجوه الإعجاز القرآني وأبينها لا تخلو منه سورة من سور القرآن الكريم، وهذا الوجه يدركه العرب أولا وهم أول من خوطب به، وأهم خصائص الأسلوب القرآني ما يأتي:

1- تأليف القرآن الصوتي.

2- القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى.

3- خطاب الخاصة وخطاب العامة.

4- إقناع العقل وإمتاع العاطفة.

---

[1]- فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص 290..

[2] - صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10، 1977، ص313.

[3] - المرجع نفسه، ص314.

5-تآلف الألفاظ والمعاني

نكتفي بتقديم نموذج للإمام القرطبي المفسر الكبير المتوفى سنة 671هـ، في مطلع كتابه العظيم في التفسير(الجامع لأحكام القرآن). قال القرطبي رحمه الله: "ووجه إعجاز القرآن عشرة[1] :

1- منها: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها، لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وفي صحيح مسلم أن أُنيسا أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلا في مكة على دينك يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أَقْراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه صادق وإنهم لكاذبون"

2- ومنها: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

3-ومنها: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، وتأمل ذلك في سورة (ق والقرآن المجيد) إلى آخرها، وقوله سبحانه: (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) إلى آخر السورة، وكذلك قوله سبحانه: (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) إلى آخر السورة.

قال ابن الحصار: فمن علِم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: (لمن الملك اليوم) ولا أن يقول: (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء)[2].

وللزرقاني وهو أحد علماء الأزهر كتاب في الإعجاز سماه (مناهل العرفان في علوم القرآن) جاء فيه بثلاثة عشر وجها لإعجاز القرآن، بعضها تكرار لما قاله الأقدمون، ولكنه ضرب عليه أمثلة جديدة. ومن أهم ما جاء في مقدمة هذا الكتاب أن اختيار الألفاظ في القرآن يظهر فيه وجه من الإعجاز من حيث أن أهل كل عصر يفهمونها بما يناسب تفكيرهم و يلائم ذوقهم، ولو استبدلت تلك الألفاظ بغيرها لم يصلح القرآن لأن يخاطب به الناس كافة[3]

ومن أهم ما جاء في مقدمته لوجوه الإعجاز في القرآن الأمور الأربعة التالية:

1- النغمة الصوتية، فسامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل، لأنه ينتقل منه دائما بين ألحان متنوعة، وأنغام متجددة.

2-إرضاء القرآن للخاصة و العامة.

---

[1]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 73-75. نقلا عن: نور الدين عتر، علوم القرآن، ص205.

[2] - نور الدين عتر، علوم القرآن، ص206.

[3] - نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1400هـ-1980ص365.

3- إرضاؤه العقل والعاطفة،

4- جمع القرآن بين الإجمال والبيان. فالجملة فيه واضحة مع احتمالها عدة معان أخرى أي: أن الجملة فيه موحية بكثير من المعاني.

المحاضرة الرابعة عشر

(الإعجاز القرآني: تابع)

ثانيا– الإعجاز الإخباري و التشريعي

أولا– الإعجاز الإخباري

1– تعريفه

2– وجوه الإعجاز الإخباري

ثانيا– الإعجاز التشريعي

1– تعريفه

2– وجوه الإعجاز التشريعي

أولا– الإعجاز الإخباري

1–تعريفه

هو ما تضمنه القرآن من إخبار عن الغيب، وعن أشياء سوف تحدث في المستقبل[1]، وقد تأكد صدق هذه الأخبار بوقوعها وذلك ليس في قدرة البشر، وهو وجه من وجوه الإعجاز في القرآن "وذلك أن القرآن الكريم تضمن عددا من الأخبار الغيبية في الماضي والحاضر والمستقبل، إذا علمنا أن الرسول كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، وأن أمته كذلك لا تقرأ ولا تكتب، وليس عندها علم يذكر في تاريخ الأمم الماضية، ومع هذا كله ورد في القرآن الكريم الحديث عن الأمم الماضية بما يظهر أن هذا القرآن لا يمكن إلا أن يكون من عند الله الذي يعلم الغيب في السماوات والأرض"[2].

2– وجوه الإعجاز الإخباري

والأخبار الغيبية الواردة في القرآن ثلاثة أنواع:

أ–الأخبار الغيبية الماضية (غيب الماضي): وهي الأخبار التي تحدثت عن الأمم الماضية والأنبياء السابقين عليهم السلام، وذلك لعدم تلقي الرسول لهذه الأخبار عن أحد من البشر، ولم يقرأها في كتاب، وإنما تلقاها عن طريق الوحي، من ذلك قصة نوح التي قال الله فيها: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا** إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.هود: 49.

ومنها قصة مريم وفيها يقول الله: ﴿ **ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ** ﴾.**آل عمران: 44.**

ب– الأخبار الغيبية عما يقع بحضرة الرسول (غيب الحاضر): إذ كثير ما تحدث بعض الأحداث ولا يشهدها الرسول صلى الله عليه وسلم، وينزل الوحي بها على الرسول، "حتى كان الكفار يقول بعضهم لبعض اخفضوا أصواتكم حتى لا يسمعكم ﷺ له محمد، ولهذا كان المنافقون يحذرون ذلك"[3]، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾. التوبة: 64. وفي سورة التوبة كثير من هذا الضرب.

ج– الأخبار الغيبية عن أمور مستقبلية (غيب المستقبل): كثيرا ما أخبر القرآن عن أمور ستحدث في المستقبل، ووقعت كما جاءت في القرآن، من ذلك قوله تعالى عن ظهور الإسلام وسيادته، وقد كان ذلك فيما بعد: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ** عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

---

[1] – عبد المجيد محمود مطلوب: مباحث في علوم القرآن والحديث، ص152.

[2]– فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن اكريم، ص 300–301

[3] – المرجع نفسه، ص 302.

الْمُشْرِكُونَ ﴾.التوبة: 33. وقد تحقق وعد الله لنبيه فظهر الإسلام على غيره من الأديان وانتشر في شتى بلاد العالم وأصبحت له الغلبة.

ومنه قوله تعالى عن الكفار: ﴿"**سيُهزَمُ الجمعُ ويُولّونَ الدّبُر** ﴾. القمر: 45. وبين ذلك أن دولة الرومان وهي مسيحية انهزمت أمام دولة الفرس وهي وثنية، في حروب طاحنة بينهما سنة(614م) فاغتم المسلمون بسبب أنها هزيمة لدولة متدينة أمام دولة أمام دولة وثنية، وفرح المشركون وقالوا للمسلمين في شماتة: عن الروم يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل عليكم، فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم. فنزلت الآية يبشر الله فيها المسلمين بأن هزيمة الروم سيعقبها انتصار في بضع سنين، (من 1إلى 9 سنين) فأنجز الله وعده سنة (622م) وهو تاريخ يوافق السنة الثانية للهجرة.

يعدُّ الإعجاز التشريعي وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني؛ فقد جاء القرآن الكريم هداية للناس أجمعين، واشتمل على أحكام تشريعية تنظم حياتهم في كل زمان ومكان، وتكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

ثانيا– الإعجاز التشريعي

القرآن كتاب الله تعالى أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور،وليهديهم صراطا مستقيما كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾.**الإسراء: 9**. ومعنى هذا أن هداية القرآن هي أعظم الهدايات، وتظهر هذه الهداية في أحكام القرآن وقيمه الخلقية وقواعده التربوية ونظمه التشريعية[1].

1– تعريفه.

المقصود بالإعجاز التشريعي: هو تشريعات القرآن ونظمه ومناهجه، والمبادئ التي قررها، والقيم التي دعا إليها، والأسس التي أرساها، و الهداية التي هدف إليها. لقد تضمن القرآن الكريم تشريعات ومناهج ومبادئ ونظماً ، شملت كافة مجالات الحياة، سواء حياة الفرد أو حياة المجتمع، وسواء الجانب العقيدي أو العبادي أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو الدولي أو الدستوري أو العسكري أو غير ذلك.

والحق أن بيان القرآن وتشريعاته لا ينفصل بعضها عن بعض، وإذا عرفنا أن القرآن معجزة بيانية، فيجب أن نعلم أنه معجزة تشريعية كذلك. ولدى المقارنة بين ما أقره القرآن من المبادئ والتشريعات في تلك المجالات والجوانب المختلفة، وبين ما أقرته البشرية في تاريخها الطويل، وما اهتدت إليه عقول

[1]– فضل حسن عباس: فضل حسن عباس: محاضرات في علوم القرآن، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.، ص68.

عباقرتها ومفكريها وعلمائها ، يظهر الفرق البعيد بين تشريعات القرآن وتشريعات البشر، ومن ذلك نتعرف على الإعجاز التشريعي في القرآن، وندرك أن تشريعات القرآن برهان صدق ودليل حق على أنه من عند الله.

وحول هذا المعنى يقول سيد قطب: "الذين يدرسون النظم الاجتماعية والأصول التشريعية ويدرسون النظام الذي جاء به هذا القرآن، يدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات في يسر ومرونة...كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحد، أو مجموعة العقول في جيل واحد، أو في جميع الأجيال"[1].

إن تعاليم القرآن موجهة للعالم بأسره، فهي للناس في شتى أرجاء العالم﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾. الأنبياء:107. بغض النظر عن أصلهم، أنزلت عليهم لتدخل البهجة والسرور على قلوبهم، وتطهر نفوسهم وتهذب أخلاقهم، وتوجه أخلاقهم وتستبدل سطوة القوي بالعدل والأخوة، والتشريعات القرآنية متعددة الجوانب، منها ما يتعلق بالعبادات كالطهارة والصلاة والزكاة والحج. ومنها المعاملات كالبيع والإجارة وهي ما تعرف بالقانون المدني. ومنها الأحوال الشخصية، ومنها التشريعات التي تتصل بالعقوبات وهي ما تعرف القانون الجنائي، ومنها ما تعرف بالسير وهي التي تسمى في لغة القانون بالعلاقات الدولية، إلى غير ذلك من التشريعات[2].

2- وجوه الإعجاز التشريعي

القرآن عقيدة شاملة ومعنى هذا أن القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة، تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر وفاء لا نجده في أي تشريع ولا في أي دين آخر. ويتجلى لك هذا إذا استعرضت المقاصد النبيلة التي رمى إليها القرآن في هدايته والتي نعرض عليك من تفاصيلها ما يأتي[3]:

أولا: إصلاح العقائد عن طريق إرشاد الخلق إلى حقائق المبدأ والمعاد وما بينهما تحت عنوان الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر.

ثانيا: إصلاح العبادات عن طريق إرشاد الخلق إلى ما يزكي النفوس ويغذي الأرواح ويقوّم الإرادة ويفيد الفرد والمجموع كنها.

ثالثا: إصلاح الأخلاق عن طريق إرشاد الخلق إلى فضائلها وتنفيرهم من رذائلها، في قصد واعتدال وعند حد وسط لا إفراط فيه ولا تفريط.

---

[1] – نقلا عن: نور الدين عتر، علوم القرآن، ص206

[2] – فضل حسن عباس: محاضرات في علوم القرآن، ص70.

[3] – الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان، ص476-477.

رابعا: إصلاح الاجتماع عن طريق إرشاد الخلق إلى توحيد صفوفهم عن طريق محو العصبيات وإزالة الفوارق التي تباعد بينهم. وذلك بإشعارهم أنهم جنس واحد من نفس واحدة من عائلة واحدة أبوهم آدم وأمهم حواء. وأنه لا فضل لشعب على شعب ولا لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأنهم متساوون أمام الله مدينه وتشريعه،..

خامسا: إصلاح السياسة أو الحكم الدولي، عن طريق تقرير العدل المطلق والمساواة بين الناس، ومراعاة الفضائل في الأحكام والمعاملات من الحق والعدل والوفاء بالعهود والرحمة والمساواة والرحمة والمحبة واجتناب الرذائل من ظلم وغدر ونقض العهود وكذب وخيانة وغش وأكل أموال الناس بالباطل كالرشوة والربا والتجارة بالدين والخرافات..

سادسا: الإصلاح المالي عن طريق الدعوة على الاقتصاد وحماية المال من التلف والضياع، ووجوب إنفاقه في وجوه البر وأداء الحقوق الخاصة والعامة والسعي المشروع.

سابعا: الإصلاح النسائي عن طريق حماية المرأة واحترامها وإعطائها جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

ثامنا: الإصلاح الحربي عن طريق تهذيب الحرب ووضعها على قواعد سليمة لخير الإنسانية في مبدئها وغايتها، ووجوب التزام الرحمة فيها والوفاء بمعاهداتها، وإيثار السلم عليها، والاكتفاء بالجزية عند النصر والظفر فيها.

تاسعا: محاربة الاسترقاق وتحرير الرقيق الموجود بطرق شتى، منها الترغيب العظيم في تحرير الرقاب وجعله كفارة للقتل وللظهار، ولإفساد الصيام بطريقة فاحشة، ولليمين الحانثة...

عاشرا: تحرير العقول والأفكار، ومنع الإكراه والاضطهاد والسيطرة الدينية القائمة على الاستبداد والغطرسة ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾.الغاشية: 21-22.

فهرس المحتويات

مقدمة.....ص2

المحاضرة الأولى.....ص1-7

المحاضرة الثانية.....ص8-15

المحاضرة الثالثة.....ص16-23

المحاضرة الرابعة.....ص24-31

المحاضرة الخامسة.....ص32-38

المحاضرة السادسة.....ص39-48

المحاضرة السابعة.....ص49-56

المحاضرة الثامنة.....ص57-63

المحارة التاسعة.....ص64-70

المحاضرة العاشرة.....ص71-77

المحاضرة الحادية عشر.....ص78-83

المحاضرة الثانية عشر.....ص84-88

المحاضرة الثالثة عشر.....ص89-95

المحاضرة الرابعة عشر ص96-96

فهرس المحتويات.....ص101

قائمة المصادر والمراجع.....102-103

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا: المصادر

1- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، مصر، د.ت.

2- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) صحيح البخاري، كتاب (بدء الوحي)، باب: كيف كان بدء الوحي إلى الرسول (ص)، الحديث رقم02، دار ابن كثير بيروت- دمشق، ط1 (طبعة جديدة مضبوطة ومصححة ومفهرسة)، 1423هـ-2002.

3-ابن الجوزي (العلامة): نواسخ القرآن، تحقيق ودراسة محمد أشرف علي الملباري، ط1، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. 1404هـ-1984.

4-ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد): المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. د.ت.

5- الذهبي (محمد حسين): التفسير والمفسرون، ج1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، د.ط، 1995.

6- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، مصر، 2006.

7- الزرقاني (عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن 1-2، تقديم وتحقيق: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ-2008.

8- السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، د.ت.

9- السيوطي (جلال الدين): تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان.د.ت.

10- ابن منظور (محي الدين بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

ثانيا: المراجع

11- زايد فهد: أسرار القصة القرآنية، ط1، دار يافا، عمان، الأردن، د.ط، 2007.

12- سامي محمد هشام حريز: نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا وتطبيقيا، الجامعة الأردنية، 2006.

13- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط6، د ت.

14- صابر حسين (محمد أبو سليمان): مورد الظمآن في علوم القرآن، دار السلفية للنشر، مومباي، الهند، ط1، 1404هـ- 1984.
15- صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10، 1977.
16- عبد المجيد محمود مطلوب: مباحث في علوم القرآن والحديث، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1429هـ2008،
17- عبد الرؤوف (محمد عثمان): محبة الرسول بين الإتباع والابتداع، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، إدارة الطبع والترجمة الرياض، ط1، 1414هـ.
18- غانم قدوري الحمد: محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، د.ت.
19- فاضل صالح السامرائي: على طريق التفسير البياني، ج1، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1423هـ- 2002.
20- فضل حسن عباس: محاضرات في علوم القرآن، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.
21- فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط14، 2005.
22- محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، ط3، 1410هـ-1990.
23- محمد كامل حسن: القرآن والقصة الحديثة، ط1، بيروت دار البحوث العلمية 1971.
24- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ت.
25- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ- 2000.
26- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة،القاهرة، مصر، 1995.
27- موسى إبراهيم الإبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، دار عمّار، عمان، الأردن، 1996.
28- نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1400هـ- 1980.
29- نور الدين عتر: علوم القرآن، مطبعة الصباح، دمشق، سوريا، ط1، 1993.